

﴿ الجزء الثاني ﴾ ﴿ السنة الثالثة ﴾

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

﴿ الاسكندرية — سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — جماد اول ١٣١٩ ﴾



الفيلسوف ارنست رنان

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

الفيلسوف ارنست رنان

﴿المؤرخ المستشرق الشهير﴾

موءلف كتاب تاريخ المسيح

﴿خلاصة هذا الكتاب﴾

طريقان متخالفان ٠ الاضطهاد الديني في اوروبا وروسيا ٠ ترجمة زعيم من زعماء الافكار المقاومة لرجال الدين ٠ تلخيص كتاب تاريخ المسيح الذي نال موءلفه من الاضطهاد بسببه اكثر مما نال الفيلسوف تولستوي ٠ ردود الموءلف على معارضيه ومضطهديه نبوءته الدينية

في العالم الآن حركتان شديدتان الاولى اسلامية والثانية مسيحية

اما الحركة الاسلامية فهي قيام المسلمين في جميع اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى اصلاح شؤونهم بواسطة الدين ٠ واما الحركة المسيحية فهي قيام فئات من المسيحيين في اكثر اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى تقييد سلطة رجال الدين وحصر وظيفتهم في اماكن العبادة ٠ فكأنّ كل واحدٍ من الفريقين يطلب صلاح الحال من الطريق التي يُنكرها صاحبه

واذا كانت الطريقة الاسلامية لم تُصبْ اصحابها بضرر عاجل فان الطريقة المسيحية قد اصابت اصحابها بضرر عظيم ٠ فان العامة في البرتغال واسبانيا وبلجيكا وفرنسا وروسيا قد اكثروا من اضطهاد رجال الدين والسطو عليهم واهانتهم في هذين العامين وهو مما لا يليق بالامم المتمدنة التي تحترم الحرية الشخصية ٠ ولقد كانت فرنسا في جملة من امتازوا في هذه الحلبة لانها وطن الكتاب والفلاسفة الذين ناصبوا رجال الدين واوقفوهم عند حدودهم كفولتير وروسو وديدرو ورنان ٠ وكان اشدهم وطأة الاول والاخير ٠ فاذا

فصلنا ترجمة احدها رنان وذكرنا لمعاً من فلسفته وآرائه كنا كمن يبحث في موضوع من مواضيع الحوادث المحلية في الكرة الارضية

***

﴿ تاريخ حياته ﴾ ولد « ارنست رنان » في « ترجيه » من اعمال فرنسا في ٢٧ فبراير من عام ١٨٢٦ . وكان ابوه ربانًا لاحدى السفن التجارية وهو من مقاطعة بريتونيا. واما امه فانها كانت غاسكونية ولذلك كثيرًا ما قال رنان عن نفسه ان هذا المزج بين البريتونية والغاسكونية انشأ فيه من جهة الاول قوة التصور والتامل ومن جهة الثاني قوة الصبر على الحياة والارتياح الى المعيشة كيفما كانت

وقد توفي ابو رنان وعمره خمس سنوات فربته امه بمساعدة بعض الكهنة وهي تنوي ادخاله في سلك الاكليروس . فتلقى رنان دروسه الابتدائية في دير اكليريكي في بلده وقد مال في صغره الى الدخول في هذا السلك رغبة في الانقطاع الى العلم والفضيلة . وبقي على هذه الرغبة حتى بلغ السنة الخامسة عشرة من العمر فانتقل الى دير سان نيقولا في شاردونه لاتمام دروسه فتغيرت افكاره هناك لما كان يجده حوله احيانًا من قلة الاحترام للمسائل الدينية كما قال المسيو برتلو الذي نعتمد عليه في هذه الفذلكة . ومنذ هذا الحين تزعزع ايمانه . ثم انتقل في سنة ١٨٤٢ الى دير ايسي ليتلقن الفلسفة فطالع هناك مؤلفات الفيلسوفين الالمانيين هجل وهردر فاجهزت هذه المطالعة على ايمانه وصار يرى حياة العالم عبارة عن نمو باطني للكون كما ان نمو الشجرة وحياتها انما هو عبارة عن نموها الباطني . وفي سنة ١٨٤٤ اخذ يدرس اللغات الشرقية فما تعمق فيها حتى صار يعتقد انه لا يمكن ان تكون التوراة كتابًا منزلاً وذلك لما رآه فيها من الاغلاط التاريخية . فعدل منذ هذا الحين عن الانخراط في السلك الاكليريكي واقام حينئذ في نفسه نزاع شديد بين النذر الذي نذره من الانخراط في هذا السلك وبين ما حسبه حقيقةً . وكانت له اخت تُدعى هنريت رنان وكانت سامية المدارك قوية العقل وهي اكبر سنًا منه باثنتي عشرة سنة فاخذت تحمد ثورة فكر اخيها وتهوّن عليه قطع ما كان بينه وبين رجال الاكليروس من الصلات . وزار رنان في ذات يوم صديقه الفيلسوف جول سيمون وهو لابس اللباس الاكليريكي واطلعه على ما قام في نفسه من ترك الاعتقاد القديم والعدول عن الانخراط في سلك رجال الدين . قال جول سيمون في بعض كتبه . وقد بذلتُ جهدي في اثناء رنان عن عزمه فكان يجيبني انه لا يستطيع ذلك لان الطائر الذي كان في نفسه

قد طار منها . وهكذا نبذ رنان نذره وخلع الثوب الاكليريكي

ولكن رنان لم يخلع الثوب الاكليريكي حتى لبس ثوب الضجر من الحياة واليأس من الوجود لانه لم يكن يجد لهما غرضاً . ولا غرابة في ذلك فان الحالة التي بلغتها نفسه قد البسته هذا الثوب المملوء حسكاً وشوكاً . ثمن حسن حظه تعرف في المدرسة التي كان يدرّس فيها بشاب يدعى برتلو وهو المسيو برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور الذي جُعل في هذا العام عضواً للاكاذيمية الفرنسوية وكان من قبلُ وزيراً للشؤون الخارجية الفرنسوية . فعقد رنان مع هذا الشاب صداقة قوية العرى . وكان برتلو منصرفاً الى العلم المادي او الوضعي فاثرت معاشرته وافكاره في رنان تاثيراً شديداً فصار رنان يعتقد اعتقاده في نفع العلم ومقدرته على اصلاح الهيئة الاجتماعية وتحسين احوال البشر . فصرف افكاره مثله الى العلم قياماً بهذه الخدمة فكان برتلو بثَّ فيه روح دين جديد . فاخذ رنان منذ ذلك الحين بالاشتغال بالعلم وصار حينئذٍ يجد للحياة غرضاً ومقصداً

في سنة ١٨٤٨ قدم لجمعية الفنون كتابه المعنون « تاريخ اللغات السامية » فطارت به شهرة رنان وعُدَّ مستشرقاً عظيماً . ثم كتب في سنة ١٨٤٩ كتابه « مستقبل العلم » غير ان هذا الكتاب لم يُنشر الا في سنة ١٨٩٠ . وكان من اقواله في هذين الكتابين ان العالم ينمو بنفسه من نفسه وهو سائر الى الكمال سيراً تدريجياً . وما هو ذلك الكمال ؟ هو قوة الفكر والفضيلة وطلب الحقيقة والخير لذاتهما . فعلى العلماء والفلاسفة الذين هم نخبة الانسانية ان يبذلوا قصارى جهدهم في تعليم الحقيقة للناس ورفع باقي الانسانية اليهم فان هذا الامر مطلوب منهم كما هو مطلوب من رجال الدين . ومن يقوم به منهم فان عمله يكون عبارة عن صلاة او افضل منها

وفي سنة ١٨٤٩ عُهد الى رنان بمهمة علمية في ايطاليا فسار اليها وشاهد عظائم فنونها الجميلة فتشربت نفسه حب الجمال . وفي عام ١٨٥٢ نشر كتابه « ابن رشد ومبادئه » وموضوعه اثبات ان الاضطهاد الديني هو الذي اوقف في الاندلس والعالم الاسلامي مسير التمدن ومنع الارتقاء العلمي والفلسفي الذي كان قريب الحدوث فيها . وكان غرضه من هذا ان يُظهر للحكومات الاوربية والسلطات الدينية ما ينشأ عن اضطهاد الدين للعلم ليكون عبرة لها فلا تضطهد العلم في اوربا فيحلّ بها ما حلّ بمن تقدموها

واقترن رنان في عام ١٨٥٦ بمدموازل شيفر حفيدة المصور آري شيفر فانتبهت فيه عواطف الحب وانعكست الى نفسه صورة الجمال الانثوي الذي اتخذه رفيقاً له فاحياها

وملأها تصورات وتأملات عذبة . فصار قلم رنان بعد هذا الزواج كأنه قد غُطَّ في كاس عسل . وقد حدث مثل ذلك لجان جاك روسو بل اشد منه . فانه في بعض ادوار عمره وهو الدور الذي تشتدُّ فيه زقزقة الطيور وتلمع اجنحة الفراش في الحقول — اي دور الربيع الانساني — صار يحسّ بنار في داخله وبرق في عينيه وجريان في قلمه فاذا كتب خط سحرًا وابرز تبرًا . وقد كتب في تلك المدة القريبة كتابه « هيلويز الجديدة » وكله رسائل حبية فلسفية فكان ابلغ كتبه . وبعد ذلك خمدت تلك الثورة وانطفأت تلك النار فذهبت بذهابها تلك البلاغة التي كانت تتصعد عنها

اما رنان فلم تخمد ناره قبل ابرازه الكتاب الذي طير صيته في جميع اقطار الارض وجعله اعظم علماء عصره شهرةً

وهذا الكتاب هو " تاريخ اصل الديانة المسيحية " وهو خمسة اقسام (١) تاريخ حياة المسيح (٢) تاريخ اعمال الرسل (٣) تاريخ حياة القديس بولس (٤) المسيح الدجال وكتاب آخر . وكل واحد من هذه الاقسام كتاب ضخم وامامنا الآن القسم الاول منه وهو تاريخ حياة المسيح وعدد صفحاته ٥٤٩ صفحة كبيرة ما عدا مقدماته الطويلة

ولا ريب في ان هذا القسم اهم اقسام الكتاب كله . وقد كتبه رنان في سياحة له في فلسطين وسوريا ولبنان بين سنة ١٨٦٠ و١٨٦١ وكان مرسلاً اليها للتنقيب عن آثار الفينيقيين وله فيها كتاب عنوانه سياحة في فينيقية . وبعد عودته من فينيقية جُعل استاذًا للغات العبرانية والكلدانية والسريانية في مدرسة كوليج دي فرانس . غير انه بينما كان يلقي فيها اول دروسه لقب السيد المسيح في كلامه عنه " بالانسان الذي لا مثيل له " فقامت في الجلسة قيامة انصار الاكليروس وخصومهم بعض معه وبعض عليه فقررت الحكومة الامبراطورية الغاء هذا الدرس فترك رنان تلك المدرسة . وقد تلا هذا الحادث ظهور كتاب تاريخ المسيح في عالم الادب (سنة ١٨٦٢) فانفجرت على مؤلفه ينابيع حارة وينابيع باردة

اما الينابيع الحارة فانها انفجرت من نفوس جميع رجال الدين ولا سيما الغلاة منهم وجميع الذين يقتدون بهم او يعيشون من ورائهم . فسلقه الناس بالسنة حداد وانهالوا عليه في الجرائد والمجلات بالشتم والسب وحرمه رجال الدين من الكنيسة ولعنوا كل من يقرأ كتبه . وقد اتهمه بعض الغلاة بانه ما كتب ذلك الكتاب الا في مقابلة مليوني فرنك قبضها من بيت روتشيلد الاسرائيلي . ولكن اصدقاء رنان الذين يعرفون محبه المجرد

لتقرير ما يحسبه حقيقة ينفون عنه هذه التهمة السوداء · وسنشير في ما يلي الى الردود التي كان رنان يردّ بها على الطاعنين عليه

واما الينابيع الباردة فانها انفجرت من نفوس الاسرائيليين في جميع اقطار الارض لان ذلك الكتاب يعزو تمدن العالم اليهم ويقول بخروج المسيحية منهم وان كان يُثبت ان آدابها العليا لم تشتق من آدابهم · وقد جاراهم في الارتياح الى موضوع هذا الكتاب كل العلماء الماديين في اوربا وكل الكتاب الذين لا يدينون بدين · بل ان بعضاً منهم لام المؤلف وعنفه لانه تساهل في بعض الامور

ثم حدثت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ فكان رنان من كارهيها وقد كتب يومئذٍ في « مجلة العالمين الفرنسوية » مقالة لقب فيها فرنسا والمانيا اختين في المدنية وقال ان من الجناية على التمدن ان تتحاربا · وبعد ما شاهده رنان في هذه الحرب من آثار الهمجية البشرية في ساحة القتال ومن تمرد رجال « الكومون » في باريز وافضاء هذا التمرد الى حرب اهلية بين الفرنسويين جرت فيها الدماء انهاراً تزعزعت ثقته بسير العالم الى محجة الكمال وكره الديموقراطية وشؤُونها لانها ادّت بوطنها الى ذلك الوبال · وصار يرى من الواجب على كل امة ان يكون فيها نخبة من رجال الفضل والعقل لادارة شؤُونها بقسط واعتدال فلا يكون للفساد والرشوة من سبيل الى نفوسهم · واخذ يتساءل كثيراً هل ان العقل والعدل يسودان في هذه الارض في مستقبل الزمان ؟ ام يتوصل العلم فقط الى حالة يصبح فيها سواد الناس عاجزين عن الاضرار بكبارهم لما يضعه لهم هؤلاء الكبار من الشكيمة بواسطة معارفهم العلمية · وقد نشر رنان كتاباً في هذا الموضوع عنوانه " مباحثات فلسفية "

ولكن لما قامت الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين اعادته الى كرسي التعليم في كوليج دي فرانس وجعلته مديراً لهذه المدرسة · وفي سنة ١٨٧٩ عُين عضواً للاكاذيمية الفرنسوية · فعاد رنان ورضي عن الديموقراطية بعض الرضى · وفي سنة ١٨٩٢ اتمّ نشر كتابه « تاريخ شعب اسرائيل » وهو خمسة اجزاء وصل بها تاريخ المسيح بتاريخ نشأة بني اسرائيل فكان هذان الكتابان تاريخاً شاملاً للحوادث الاسرائيلية من اولها الى ما بعد انتشار الديانة المسيحية

وقد عمّر رنان نحو سبعين عاماً · وكان في آخر ايامه رزيناً هادئاً مع شيء من التهكم وعدم المبالاة باراء الناس · وبقي على هذا الهدوء والرزانة مع ما انتابه من المرض

والالم في آخر حياته · وقد قال وهو على فراش الموت « انني اموت سعيداً لانني اتممت عملي · وما الموت الا ناموس طبيعي فلنخضع لناموس الطبيعة » وكانت وفاته في ٢ اكتوبر من عام ١٨٩٢ وبعد وفاته ابنته جرائد الارض تأبيناً متبايناً · فبعضها شيعه بالسب والشتم القبيح وبعضها رأى ان يُترك الحكم على اعماله الى الاجيال القادمة · ولا يزال اسم رنان "يرنُّ" في فرنسا الى هذه الايام وقد سماه اصدقاؤه وانصاره « رنان العظيم » · وكذلك سماه المسيو والدكروسو رئيس الوزارة الفرنسوية غير مرة في بعض خطبه · اما خصومه فلا يزالون يلعنونه ومما يُروى عن رنان وقد رواه نفسه في بعض مؤلفاته ان احد الرهبان كان يرسل اليه في ليلة احدى الاعياد المسيحية الكبرى من كل عام ورقة صغيرة عليها هذه الكلمات " جهنم موجودة " وقد قال رنان بعد ايراده هذا الخبر لقد ظن صديقي الراهب انه يؤلمني بهذا القول وما عرف انني افضل جهنم على " العدم "

ولما زار رنان ايطاليا خرج الناس لاستقباله في زوارقهم فاحاطوا بزورقه واخذوا يصيحون " ليحيَ العلم ليحيَ العلم " يريدون بذلك نكاية رجال الدين في الفاتيكان · وكان رنان ساعتئذٍ يكتب في مذكرته · فكتب فيها هذه العبارة " لا ريب ان الكثلكة تقوضت اركانها في ايطاليا " قالت جريدة الطان بعد نشرها هذا الخبر في الشهر الماضي « لقد اخطأ رنان في هذه النبوءة كما اخطأ في غيرها » ولكنها عادت فعقبت على ذلك بقولها « ولكن قولنا هذا لا يحط من شان رنان · فان رنان يبقى رنان مهما قيل فيه »

ومن اقوال رنان في العسكرية " انني لو اضطررت الى الانتظام في سلك الجندية ولم اقدر على التخلص من ذلك لقتلت نفسي " وقد صدر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب عنوانه " سنة في الثكنة العسكرية " وموضوعه الطعن على المعيشة الجندية وعلى الجندية نفسها وقد صدره مؤلفه بالعبارة التي تقدم ذكرها تعزيزاً لكتابه

ولرنان مؤلفات كثيرة غير ما تقدم منها كتاب اصل اللغة · وسفر ايوب · ورسائل رنان وبرتلو · وفصول مختلفة وغيرها

﴿ خلاصة كتاب تاريخ المسيح ﴾

(المولف اهدى كتابه الى اخت والجامعة تهدي الى اخ)

اما كتاب هذا الفيلسوف " تاريخ حياة المسيح " فاننا لم نقدم على تلخيصه في هذه المقالة (او بالاحرى الاشارة الى بعض اغراض من اهم اغراضه العلمية) الا وفي نيتنا تحاشي ذكر كل ما لا يجب ذكره منه احتراماً لاراء الناس ومعتقداتهم ولا سيما بسطاءهم · وللذي حبب

الينا هذا التلخيص ما عثرنا عليه في هذا الكتاب من الشؤون التاريخية الجليلة التي قطع رنان عمره وهو يبحث عنها . فانه وصف فيه حالة اليهود الاجتماعيـة والسياسية يوم ظهور السيد المسيح وما تقدم هذا الظهور وتلاه من الحوادث التاريخية المتعلقـة بتاريخهم وتاريخ الرومانيين اصحاب السلطان عليهم في ذلك الزمان ووصف الامكنة التي عاش فيها السيد وعلّم فيها بعد ان زارها المؤلف بنفسه وكتب هذا الكتاب تحت سمائها . وبعبارة واحدة نقول ان غرضنا تاريخ الوَسط الذي عاش فيه السيد . فغرضنا اذاً علمي تاريخي محض واما المسالة الدينية الكبرى فلا دخل لها في هذه المقالة

المدية الى اخته

وقد اهدى المؤلف هذا الكتاب الى اخته « المدموازل هنرييت » التي رافقته في سياحته في سوريا وفلسطين وتوفيت بالحمى في جبيل من اعمال لبنان . وقد صدّرهديته بالخطاب المؤثر التالي

« الى روح اختي هنرييت الطاهرة »

« التي توفيت في جبيل في ٢٤ سبتمبر من عام ١٨٦١ »

« اتذكرين وانت الآن مستريحة في احضان الله تلك الايام الطويلة ايام « غزير » التي كنتُ فيها واياك منفردين نكتب صفحات هذا الكتاب الذي كانت توحيه الينا الاماكن التي زرناها معاً . لقد كنتِ يومئذ جالسة بجانبي ساكتة تنتظرين الصفحات التي كنت اكتبها وكلما اتممت صفحة تناولتِها وقرأتِها ثم نسختِهـا بعد قراءتها . هكذا كنا نقضي النهار وتحت اقدامنا البحر والقرى والجبال المجاورة . اما في الليل فانك كنتِ تلقين عليّ سؤالات دقيقة لطيفة كان يظهر فيها شيء من ارتيابك فكانت هذه الاسئلة تعيدنا الى الموضوع السامي الذي كان شغلنا الشاغل . وقد قلتِ لي يوماً انك تحبين هذا الكتاب لامرين الاول لانه كُتب في صحبتك والثاني لانه كُتب على ذوقكِ . وكنتِ معتقدة بانه اذا خيف عليه من حكم الرجل الجاهل السريع الحكم الضيق القلب فان كل رجل ذي نفس متمسكة بالدين تمسكاً حقيقياً لا بدّ ان تفضي به قراءته الى الرضى عنه والسرور به . وبينما كنا منصرفين الى هذه التأملات الحلوة جاء الموت ولطمنا كلينا بجنحه فرقدنا رقاد الحمى في وقت واحد . ثم انتبهتُ فوجدت نفسي وحدي . فانتِ الآن ترقدين بسلام في ارض ادونيس قرب بيبلوس المقدسة (جبيل) في جوار المياه المباركة التي كانت تفد

اليها نساء الاديان السرية الماضية ليمزجن دموعهن بمائها . فيا ايتها الروح الصالحة . اوحي اليّ انا الذي كنتُ حبيباً اليك في حياتك تلك الحقائق التي هي اقوى من الموت والتي تُعلّم الانسان ان لا يخشاه بل التي تعلمه ان يتمناه »

هذا نص هدية المؤلف الى اخته . واذا كان كل كاتب يحق له ان يستنجد بالاحياء الذين له في راحة الابدية فما احرى الجامعة ان تستنجد ذلك الاستنجاد ايضاً

وقد نسب رنان غير مرة نجاحه الى اخته فكأنه لا ينبغ رجل عظيم حتى يكون بازائه امرأة تدربه وترشده . وقد ذكرنا آنفاً ان اخت رنان هي التى شددت عزائمه حين عزم على التخلص من السيادة الاكليريكية وذكر المؤلف في كتاب الهدية الذي تقدم ان اخته كانت مرتاحة الى كتاب تاريخ المسيح الذي كان يكتبه فهذا يدلّ على ان الميل عن التقاليد الدينية امر وراثي في اسرة رنان لانه قلما سُمع مثل ذلك عن النساء لشدة تمسكهنّ بهذه التقاليد

وقد كتب رنان بعد وفاة اخته كراساً عنوانه « الى اختي هنرييت » لم يُطبع منه في بدء الامر سوى مائة نسخة خصوصية . وهذا الكراس هو ابلغ ما كتبه رنان على الاطلاق لان الحب الاخوي اجرى من اعماق نفسه اشد ما كان فيها من البلاغة والعذوبة . وقد قال مؤرخو حياته أن اخته هذه هي التي اصلحت قلمه وعلمته ان ينحو منحى البسيط الطبيعي في كتاباته . ولم يكن كذلك قبل ذلك

المقدمة الاولى

وتلي هذه الهدية المقدمة الاولى للكتاب وقد وضعها المؤلف للطبعة الثالثة عشرة من كتابه . واما النسخة التي امامنا الآن فانها من الطبعة الخامسة والعشرين . فيكون كتابه قد اعيد طبعه ٢٥ مرة حتى هذا العام . وقد ردّ رنان في هذه المقدمة رداً مختصراً على معارضيه . وهم فئتان . الفئة الاولى منكرو الوحي الذين انكروا عليه الاعتماد على الكتب المقدسة في كتابة تاريخ المسيح لانهم لا يعتقدون صحتها . والفئة الثانية المعتقدون بهذه الكتب بلا بحث ولا جدال وهم رجال الدين ورعيتهم من المؤمنين . وقد قال في ختام هذه المقدمة ما ملخصه

« اني مسيحي ولكنني لست كباقي المسيحيين . فانني اعترف بوجوب ان لا اتكلم عن كنيستي الا برفق ولكن هل ذلك يقضي عليّ بان اغمض عيني عن الحقيقة . وهل اهين

حكومة من الحكومات اذا قلت انها لم تحسن تدبير الاميال المختلفة التي في نفوس الناس او اهين ديناً من الاديان اذا قلت انه لم يسلم من الاعتراضات الهائلة التي يقيمها العلم في كل يوم في وجه التعاليم التي من فوق الطبيعة · ان الديانات تسقط الواحدة بعد الاخرى لانها تخضع للقلب لا للعقل ولانه ليس في العالم قوة قادرة على خنق ذلك العقل

ومع ذلك فاذا تمكن العقل من خنق الديانة فالويل له في ذلك اليوم · صدقوني ان كرتنا الارضية تعمل في عمل عظيم سيؤدي الى نتيجة عظمى · فلا تقولوا ان هذا نافع وهذا غير نافع بل دعوها تعمل فان الطبيعة التي خصت الحيوان بغريزة لا تخطئ لم تضع في الانسان شيئاً يخدع · ولا تقولوا ان الاديان تخطئ كلما ارادت اقامة البرهان على وجود « اللا نهاية » وتحديدها والزعم بانها تمثلها فانها اذا كانت تخطئ في ذلك فانها تصيب جداً كلما اكدت وجودها · واذا مزجت بذلك كثيراً من الاغلاط فليس ذلك بالشيء المذكور بازاء الحقائق التي تنادي بها · وان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر معرفة بحقيقة الاشياء من ذلك المادي الذي يفسر كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة »

وغني عن البيان ان المؤلف لم يوجه القول الاخير الا الى الماديين الذين ينكرون الاديان

المقدمة الثانية

اما المقدمة الثانية فقد تكلم فيها عن المصادر التي استقى منها تاريخ المسيح · وهي خمسة (١) الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل (٢) الكتب المسماة « ابو كريف » من العهد القديم وهي الكتب التي لا تعتقد الكنيسة صحتها (٣) مؤلفات فيلون الفيلسوف الاسكندري الذي عاصر المسيح (٤) مؤلفات المؤرخ يوسيفوس المشهور الذي عاصر المسيح ايضاً (٥) التلمود وهو كتاب اليهود

قال المؤلف · اما مؤلفات الفيلسوف فيلون فانها خير مرشد الى الافكار الدينية التي كانت تختلج في نفس الامة اليهودية في ذلك الزمان · ولكن من سوء الحظ ان فيلون كان يعيش في اقليم غير الاقليم الذي ظهر فيه المسيح وكان عمر فيلون اثنتين وستين سنة لما بلغ السيد اشده واظهر روحه · وكان فيلون شديد الكراهة ايضاً لتعاليم الكتبة والفريسيين وقد عاش بعد السيد عشر سنوات على الاقل · فيا لها من خسارة ان لا يكون قد ذهب الى الجليل ونظر السيد فانه لو فعل لكتب عنه ما يكفي ويشفي

واما المؤرخ يوسيفوس فانه كان يكتب لليونانيين والرومانيين الذين كانوا اصحاب

السلطة على فلسطين ولذلك لم يكتب باخلاص كما كان يكتب فيلون لئلا يلقي التهمة على اليهود ابناء وطنه . وقد كتب ما كتبه عن المسيح و يوحنا المعمدان و يهوذا الغولونيتي باختصار وغموض فلم يفهم اليونانيون والرومانيون حقيقة الحوادث التي كان يشير اليها .
قال المؤلف . اما الفقرة التي جاءت في كتابه عن المسيح فانها حقيقية واذا كان يوسيفوس قد كتب عن المسيح فانه لا يكتب الا ما كتب لان ذلك الاسلوب اسلوبه . ولكن القارىء يشتم ان يدًا مسيحية قد اصلحت تلك الفقرة وحذفت منها وزادت عليها شيئاً ولا سيما هذه الكلمة التي جاءت فيها وهي « اذا كان يجوز ان يُسمى انسانًا » والتي لولاها لكان كلام يوسيفوس شهادة على رجال الدين لا لهم . ومما يرجح هذا الظن ان المسيحيين في القرون الاولى اتخذوا كتب يوسيفوس تاريخًا رسميًا لحوادث بلادهم فغير غريب ان يكونوا قد نشروا في القرن الثاني للميلاد طبعة منقحة من جميع كتبه . ومهما يكن من الامر فان اهمية هذه الكتب في كتابة هذا التاريخ لاتخفى على احد لان هذا المؤرخ اليهودي يرينا فيها بكثرة تفاصيله هيرودس وهيروديا وانتيباس وفيليبوس وحنانيا وقيافا وبيلاطس كأنهم اشخاص احياء بيننا

ثم تكلم المؤلف عن اسفار الابوكريف وعن الاناجيل والتلمود كما تكلم عن المؤرخين اليهوديين . فقال ان المؤرخ باپياس لم يسمع بوجود انجيل يوحنا ولكنه يقول ان الرسول بطرس كتب انجيلاً فلعله هو . اما متى فلا يجاريه احد في نقل خطب السيد ودقة حفظها كما ان مرقص لا يجاريه احد في دقة نقل الحوادث وتفصيلها بتاكيد واثبات . ثم ردّ المؤلف على الذين لا يعتمدون على الكتب المقدسة فقال ان المسيو سبرنجر كتب تاريخ حياة صاحب الشريعة الاسلامية واعتمد فيها على الحديث النبوي فلماذا لم يعارضه المعارضون فان هذا كذاك . واذا قام غدًا رجل لكتابة تاريخ الفلسفة اليهودية في القرون التي تقدمت ظهور السيد وتلته ببضعة قرون فهل يعترضون على الكاتب اذا نسب الى الفلاسفة اليهود هلل وشاماي وغماليل الاقوال التي ينسبها اليهم كتاب المشنا والجماره مع ان هذين الكتابين لم يُكتبا الا بعد موت اولئك الفلاسفة ببضعة قرون

ثم ردّ على الذين يقولون بالعجائب فانكرها وقال ان الذي يعتقد بها و يروم جعل هذا الاعتقاد قاعدة لمباحثي ومناظرتي فلا يباحثني ولا يقرأ كتبي لاننا لا نتفق ابدًا . ثم وصل الى المصدر السادس الذي اعتمد عليه في كتابة كتابه فقال هذا القول الذي يُعدُّ تاريخًا لذلك الكتاب

تاريخ الكتاب

تلك هي القواعد التي بنيتُ عليها كتابي . ولكنني اضفتُ الى المصادر التي تقدم ذكرها مصدرًا جديدًا وهو زيارة الاماكن التي حدثت تلك الحوادث فيها فكانت لي نورًا مرشدًا . فان البعثة العلمية التي عُهدت اليّ ادارتها بين عام ١٨٦٠ و١٨٦١ للتفتيش عن آثار فينيقية وارتياد بلادها اوجبت اقامتي مدة على حدود بلاد الجليل والسياحة فيها مرارًا . فطفت في هذا الاقليم الانجيلي من كل الجهات وزرت اورشليم وحبرون والسامرة وكل مكان له علاقة بتاريخ المسيح . وقد يخيل للبعيد عن تلك الاماكن ان الحوادث المسيحية الاولى حدثت في فضاء خياليّ لا حقيقة له ولكن لما زرتُ تلك الاماكن تجسمتْ فيها تلك الحوادث امامي تجسمًا ادهشني . فقد كان الائتلاف تامًا بين النصوص الانجيلية والاماكن المذكورة . واذ نظرتُ تلك المناظر الطبيعية الجميلة وقابلتُ بينها وبين روح الكمال الموصوفة في الانجيل شعرت بانطباق هذه على تلك وحينئذٍ احسست كأنّ وحيًا اوحي اليّ . فتاملتُ فوجدت امامي انجيلاً خامسًا مفتوحًا وهو انجيل الطبيعة . فصرت اقرأ فيه ولما كنت انتقل منه الى انجيلي متى ومرقص كنت ارى بين السطور صورة شخص عظيم حي . فلما جاء الصيف صعدتُ الى غزير في لبنان لاستريح قليلاً وهناك كتبت بسرعة وصف تلك الصورة العظيمة التي ظهرتْ لي فكان منها هذا التاريخ . ثم نزلت بي مصيبة اليمة اضطرتني الى تعجيل سفري (وفاة اخته) فسافرت ولم يكن باقيًا عليَّ من هذا الكتاب غير بضع صفحات . فانا اذًا قد كتبتُ هذا التاريخ في مكان قريب من الامكنة التي عاش يسوع فيها . ولما عدتُ الى بلادي اخذتُ اصلح واكمل تلك الصفحات التي سطرتها بسرعة في كوخ مارونيٍ دون ان يكون حولي سوى خمسة من الكتب او ستة »

وفي ختام المقدمة الثانية ما خلاصته « واذا كان يجب على الكاتب ان يكون ميالاً للموضوع الذي يكتب فيه ليجيد فيه ويحسن في شرحه فان ذلك لا ينقصني . ولا اجهل انه يجب على الذي يتصدى لتاريخ دين من الاديان امران . الاول ان يكون قد آمن به اولاً والا فانه لا يفهم شيئًا من محاسنه ولا يُدرك ما فيه من مطمنات النفوس ومُرضيات الضمير البشري . وثانيًا ان يكون قد صار ممن لا يؤمنون به ايمانًا مطلقًا من غير شرط ولا قيد لان الايمان المطلق لا ينطبق على العلم والتاريخ لما انه يوجب التسليم والعلم والتاريخ لا يعرفان تسليمًا . ولكن الحب قد ينشأ في القلب من غير ايمان . واذا كان الانسان لا يعتقد باشكال الامور التي تستوجب عند الناس العبادة والايمان فان ذلك لا يمنعه من

الاعجاب بما في تلك الامور من الخير والجمال · اما الالوهية فانها لا تنفد مهما تكرر ظهورها لان الله قد ظهر قبل يسوع المسيح وسيظهر بعده · وظهوره سواء كان كبيرًا او صغيرًا فانه من طريق واحد وهو ارادته المودعة في الضمير البشري · فليس يسوع اذًا خاصًا بالذين يسمون انفسهم تلامذته ولكنه شرف عام للجميع اي لكل من له قلب انسان · وما عظمته ونجده ان يوضع خارج دائرة التاريخ ولكن ان يوضع في داخلها · وانَّ اصح عبادة نقدم له هي اظهار ان التاريخ البشري غير مفهوم بدونه »

المقدمة الثالثة

وقد جعل المؤلف هذه المقدمة الثالثة تمهيدًا لموضوع الكتاب فبحث فيها عن الحركة الدينية في العالم منذ انشائه · فقال ان التمدن القديم الذي نشأ في الصين وبابل ومصر قد رقى الاديان بعض الشيء فان الاديان في مصر وسوريا واشور والصين كانت تحتوي كثيرًا من المبادىء الادبية ولكن الاوهام والخرافات كانت كثيرة فيها ولذلك لم يكن ممكنًا ان يصدر عنها فكر عظيم · وكيف تصدر الآداب والحرية عن نسل ما فتىء ذليلاً مستعبدًا منذ وجوده

واما النسل الذي صدر عنه الايمان والحرية والنزاهة والاخلاص وتدورات النفس الغزلية فهو نسل هنود اوروبا والساميين · ويريد بالساميين جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية (العربية والسريانية والعبرانية والارامية والكلدانية والاشورية والحميرية) · فمن هذين النسلين (هنود اوروبا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية · اما هنود اوروبا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رفيقة وحنانًا وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الاداب والدين · ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة · وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية فالذين اعدوا اذًا سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته · وكان من اخص مزاياهم انكارهم على سوريا اديانها المادية المبنية على اللذة ثم بساطة العبادة لانهم لم يتخذوا هياكل ولا اصنامًا · وكان في جملة قبائلهم قبيلة بني اسرائيل ولا يخفى ان هذه القبيلة كانت ذات صلات قديمة بمصر وقد اقتبست من المصر بين اشياء يعسر على التاريخ حصرها وذلك مما زاد في كراهتها للوثنية · فهذه القبيلة تمَّ لها في ذلك الزمان الحصول على " توراة " اي شريعة مكتوبة على الواح حجرية وفيها مبادىء ادبية حقيقية وجراثيم المساواة الاجتماعية ·

وكان لهذه القبيلة شيوخ ممتازون بالمعرفة والشعب يستشيرهم في المسائل المعضلة وكانوا يُدعون انبياء . اما كهنتهم فانهم كانوا يُشبهون الكهنة الذين تقدموهم ولا يمتازون عنهم الاَّ بان الشؤُون الكهنوتية عند كل واحد منهم كان مرجعها الى رايه . وكان الانبياء الذين تقدم ذكرهم من حُفاظ المبادىء الديموقراطية القديمة التي كانت خاصة بالقبيلة ولذلك كانوا يكرهون كل تنظيم سياسي يُرام ادخاله الى بني اسرائيل لجعلهم كباقي الامم التي تليهم هذا فضلاً عن عدائهم للاغنياء . فهؤُلاء الشيوخ كانوا السبب الاصلي في تقدم الشعب اليهودي في الدين على سائر الشعوب . ولكن لما هجمت السلطة الاشورية على ذلك الشعب وسحقته لاصغائه الى نصائح اولئك الشيوخ قام الشيوخ اصلاحاً لخطائهم ينادون بان مملكة يهوذا ستدوم الى الابد وان اورشليم ستكون عاصمة الدنيا كلها . ثم طرأَت انقلابات كثيرة على الشعب اليهودي اخصها قيام الدول الكبرى في آسيا بعضها يتلو بعضاً فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فصرفوا نظرهم عن الارض الى السماء وازدادوا تمسكاً بالشؤُون الدينية . وقد صاروا حينئذٍ يرضخون لكل نير يوضع على اعناقهم على شرط ان يحترم وليُّ امرهم عاداتهم ودينهم . ومنذ ذلك الحين لم يعد عدوًّا لهم الا كل من كان عدوًّا للاله الواحد ولم يعد لهم من وطن ولا شريعة غير الشريعة الدينية

ثم ظهر كتاب دانيال الذي هاج اشجانهم وزاد املهم في قرب قدوم المسيح المنتظر لانقاذهم من ضيقهم . فازدادوا تمسكاً بالشريعة الموسوية وصاروا يقتلون كل من يخالفها . وكلما كانت تثقل عليهم يد الوثنيين الذين كانوا اولياء امرهم كانوا يزدادون انقطاعاً عن الارض ويوجهون انظارهم الى العالم الثاني . وكان العالم مشغولاً عنهم في ذلك الزمان بحوادثه الكثيرة فلم يلتفت الى ما كان يحدث عندهم . ولكن الامبراطورية الرومانية كانت حديثة النشأة اذ ذاك وقد قامت بعد حروب واهوال فكان الناس يتوقعون للعالم دوراً سلمياً في عهدها . واما اليهود فانهم كانوا يتوقعون حينئذٍ بصبر فارغ قدوم « مسيا » المنتظر وكان كثيرون من صُلاحهم يقضون الليالي والايام حول الهيكل صائمين مصلين وهم يسالون الله ان لا يتوفاهم قبل تحقيق آمال شعب اسرائيل . وكان الانتظار شديداً حتى ان كل واحد من الناس كان يشعر بقرب حدوث شيءٍ عظيم »

ثم جاء المنتظر ورقى الدين الى درجة من الكمال والسمو لم يبلغها قبل ذلك

وسندخل في موضوع الكتاب في الجزء التالي

المقالات

الجيش العثماني

﴿ فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية ﴾

لما نقلت الشركات البرقية خبر انقطاع العلائق السياسية بين الدولة العلية والدولة الفرنسوية كان هذا السؤال اول سؤال وجهه القارىء الى نفسه وهو : ما هي حالة الجيش العثماني الآن هل في استطاعته ان يرد عن البلاد غارة عدو قوي على افتراض شبوب نار الحرب وان كان هذا الافتراض امراً مستحيلاً كما يعلمه الواقفون على العلائق الدولية . ولماذا غيرت فرنسا سياستها مع الدولة العلية لجافتها هذه المجافاة مع انها صديقتها الكبرى من ايام الملك فرنسيس الاول الذي حالفها حتى على الاوروبيين انفسهم . وجواباً عن هذا السؤال ننقل عن العالم البلجيكي المسيو اوفر برش مدير التعليم العلمي العالي في وزارة المعارف في بلجيكا ما كتبه عن الجيش العثماني وعلائق فرنسا والمانيا بالدولة العلية في كتاب نشره في العام الماضي وعنوانه « سياحة في الشرق . تركيا واليونان » فنقول

قال الكاتب المذكور في الصفحة ٣٣٧ يصف الجيش العثماني الذي شاهده منذ سنتين في حفلة السلاملك في الاستانة ما خلاصته

« ولقد قال لي وكيل بلجيكا في الاستانة في يوم جمعة . اليوم تُعقد حفلة السلاملك فاذهب لمشاهدتها ولا تفوّتها . فقصدت الجامع الحميدي مع بعض الرفاق في الساعة العاشرة لان الحفلة تبتدىء عند الظهر فوصلت الى الكشك الخاص بالسفراء والاجانب وهو قائم تجاه الجامع فوجدنا فيه ضابطاً تركياً من الطف الضباط واظرفهم فاستقبلنا وادخلنا حالما اريناه اوراقنا . وكان دخولنا الى قاعة الزائرين ولم يكن فيها سوى اربع نوافذ غاصة بالانكليز والانكليزيات ففتشنا عن مكان امام النوافذ نجلس فيه ونرى منه فلم نجد مكاناً والانكليز جرياً على عادتهم لم يتنازل احد منهم عن مكانه لواحدة من السيدات اللواتي كن معنا . ولكن وكيل بلجيكا كان قد قال لنا انكم اذا لم تجدوا مكاناً موافقاً في النوافذ

فاقصدوا السطح المحاذي للقاعة واتخذوا لكم مجالس فيه · فذهبنا الى السطح وجلسنا في الصف الاول فلم يلبث ان تبعنا بعض البلجيكيين وكثيرون من الالمانيين الذين كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويصفقون الى بعيد

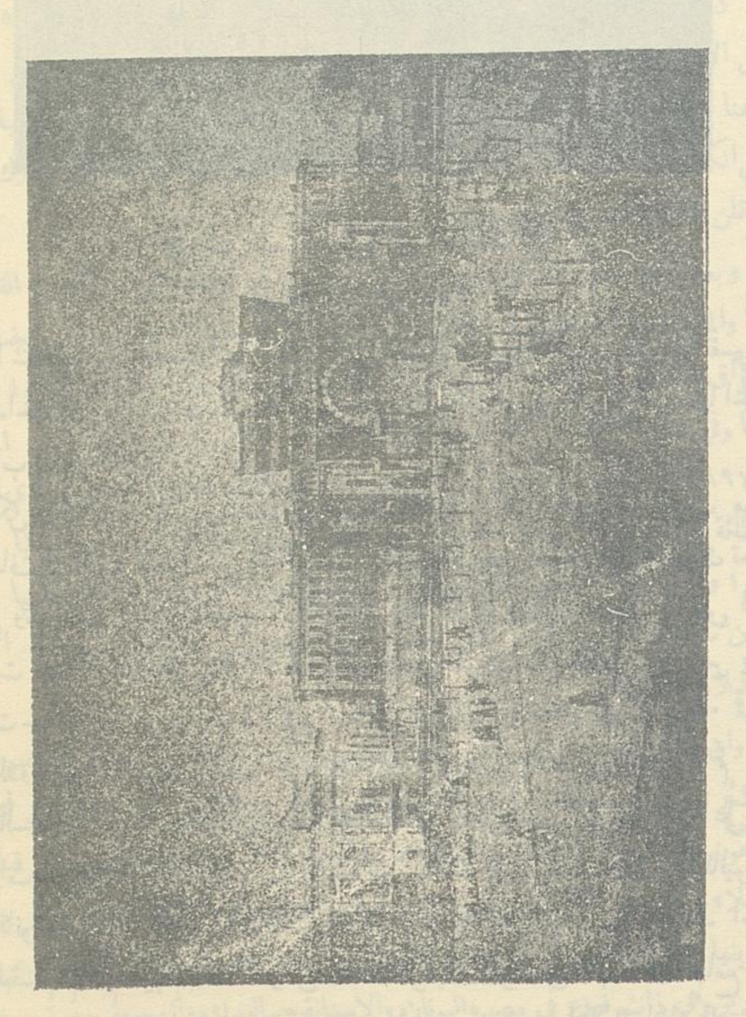
فقضينا هناك ساعتين في الانتظار واذا بالسفراء وعيالهم قد بدت طلائعهم وكانوا يلبسون ملابس متناهية في الفخفخة والزينة لان الحكومات توصي سفراءها في جميع بلاد الشرق ان يُحسنوا اتقان الزينة الخارجية · وبعد ذلك وصلت الجنود

وكان اول من وصل منهم الاي المشاة تتقدمه الموسيقى العسكرية · فمرَّ امامنا بنظام بديع وقوة اعجبنا بها · وكانت جنوده تلبس الطربوش فكان لها به منظر جميل لان الطربوش يكبر قامة الانسان ويجعل له مرأىً حربياً مدهشاً · وكانت الموسيقى التي تتقدمهم تصدح بالنشيد الالماني ببراعة واحكام يستلبان الالباب · وقد كان بجانبي الماني كان من ضباط الجيش الالماني فجعل يشير الى ضباط الجيش العثماني وهو يقول · هذا فلان من كواينجسبرج وذاك فلان من فرانكفور وهذا فلان من كوبلانس · ثم ان هذه الجنود اصطفت صفين على جانبي الطريق · ولم تفرغ من ذلك حتى طلعت طلائع الاي الفرسان تتقدمه الصنوج المفرحة التي تقرع انغاماً مرقصة والذي يملأ منظره العين بهجة والقلب سروراً · فقصد هذا الالاي السهل المخصص بالمركبات واصطف فيه

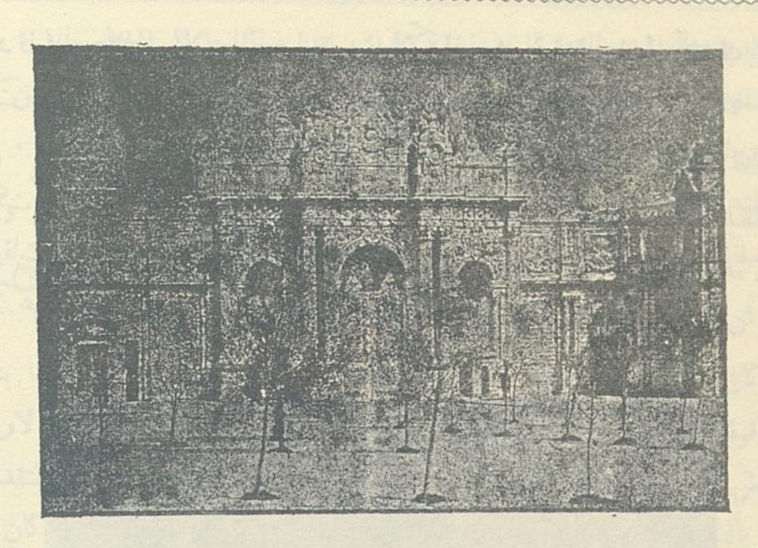
واذا بالرجل الالماني الذي تقدم ذكره قد اخذ يقول « انظروا انظروا لقد جاء الحرس السلطاني · جاء ابطال اناطوليا اشجع جنود الارض كلها · انظروا انظروا فانهم جميعاً تحت قيادة ضباطنا ولذلك لا يغلبهم احد · فالتفتنا فوجدنا الجنود الزواف قد بدت وعلى رؤوسها العمائم الخضراء وكلهم من نخبة رجال الجيش العثماني · وفي هذه الجنود قال الجنرال سكوبلف يوم حصار بلفنا « اذاً قد عزم اصحاب العمائم الخضراء على منعي من اختراق هذا المربع ما لم يُقتلوا عن آخرهم » وكانت هذه الجنود سائرة نحو قصر يلدز القائم على مسافة ثلاثمائة متر من الجامع الحميدي

ثم تلتهم جنود البحرية وجاء بعدهم الزواف لابسو الطرابيش وهم رجال حسنو المنظر من فرقهم الى قدمهم · وكان منظرهم ومشيتهم يدلان على انهم من ذلك النسل القادر القوي · وقد قابلتهم في ذهني بالجنود اليونانية التي رايتها في آثينا فعجبت كيف خطر لليونان ان يتوقعوا النصر لجنودهم في حربهم مع الدولة التي لديها جنود كهؤلاء الجنود · ولا انكر ان في الجيش اليوناني رجالاً اقوياء ولكنني ارى ان الجنود اليونانية على الاجمال لا تُقاس

بالجند العثماني . اليس الاميرال جولين دي لا كرافيير هو الذي قال « ان للجندي العثماني صفات حربية جليلة . فاذا ولي قيادته ضباط خبيرون ادهش العالم باعماله كما ادهشه فيما مضى . وليس ينقص الجيش العثماني جنود او قوّاد كبار ولكنه ينقصه ضباط صغار » وقد ادركت المانيا هذا النقص فتقربت من الدولة العثمانية لاصلاح جيشها رغبة في الاعتماد عليه في اوقات الشدة وتزلفاً الى الحكومة لتمنحها في الاناضول الامتيازات التي تمني نفسها بها فضلاً عن اتخاذها جيش الدولة سوراً دون روسيا



﴿ نظارة الحربية في الاستانة ﴾



﴿ باب السرعسكرية في الاستانة ﴾

وهو مقام قائد الجيش العام

ولما شاهدتُ ما شاهدتُ من نظام الجيش العثماني وترتيبه اخذت اقول في نفسي ان عدم مداخلة اوربا ايام الحوادث الارمنية ناشيء عن اسباب قوية ربما كان منها الخوف من حراب الجنود العثمانية

ولكن ما لنا ولهذه الامور فلنعد الى حفلة السلاملك . فان الجنود ما انتهت من الاصطفاف في ثلاثة صفوف من الجامع الى سراي يلدز حتى قدمت فرقة واخذت تكنس الطريق وتذر فيها الرمل النظيف . ثم جاءت فرقة اخرى وصارت تنفض ملابس الجنود التي كانت مصطفة . وبعد برهة انتصف النهار وخرج الموكب السلطاني من قصر يلدز. فصدحت حينئذ الموسيقى وسرى في الجمع ارتعاش فتطاولت الاعناق الى الموكب . فمر فيه رجال الدولة مع ابنائهم ومركبات الحرم السلطاني والموظفون بملابسهم الرسمية . ثم مرت المركبة السلطانية تجرها جياد كريمة وجلالة السلطان جالس فيها بهيئة تدل على عدم الاكتراث بشيء مما حوله . ولما دنت المركبة من كشك السلاملك هتف الالمانيون الذين كانوا معنا هتافاً شديداً اكراماً لجلالته فرفع جلالته راسه اليهم وحينئذ استنار وجهه بابتسام ثم سلم عليهم باحناء الراس وظلت المركبة سائرة حتى انتهت الى الجامع

وفي اثناء الصلاة جاءنا احد رجال التشريفات ودعانا باسم جلالة السلطان الى تناول المرطبات في حديقة من اجمل الحدائق فاجبنا وتحققنا حسن الضيافة في قصر يلدز

و بعد الصلاة انتظم سلك الجنود كما كان وخرج جلالة السلطان عائداً في « فايتون » يجرها فرسان ابيضان كريمان وكان جلالته قابضاً على عنانهما بيده ووراء الموكبة رجال الدولة واكابر موظفيها مشاة يتبعونها

هذا ما قاله السائح عن الجيش العثماني . اما ما قاله عن علائق فرنسا والمانيا بالدولة فهذه خلاصته . قال

كنت احادث بعضاً من راهبات المحبة الفرنسويات في طريقنا الى « بروصه » فسالتهن أليس الافضل لكنَّ ان تحتمين بالمانيا في البلاد العثمانية . فصحن جميعاً من فم واحد « احمنا يارب من حماية المانيا » ثم قالت احداهن ان المانيا امبراطورية بروتستانتية فكيف تحمي الكاثوليك حماية حقيقية . ومع ذلك فاننا لا نطلب حماية دولة اجنبية ونترك وطننا . وقد قلن ذلك والدموع في عيونهن

و بعد برهة اخذ احد المرسلين الحاضرين يشرح لي اسباب الزحام الشديد القائم بين فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية . فقال ان فرنسا كانت في عام ١٨٩٢ تبيع من بضائعها في الاسواق العثمانية ما قيمته ٦٠ مليون فرنك فنقصت هذه القيمة في عام ١٨٩٣ الى ٥٦ مليوناً وفي عام ١٨٩٤ الى ٥٣ مليوناً وفي ١٨٩٥ الى ٥١ مليوناً وفي ١٨٩٦ الى ٤١ مليوناً وفي ١٨٩٧ الى ٣٩ مليوناً اي ان قيمة ما تبيعه فرنسا في البلاد العثمانية لم تعد تساوي اليوم ١١ في المائة من مجموع المبيعات الاوروبية . اما المانيا فلم تكن لها تجارة مع تركيا في سنة ١٨٧٠ ولكن لم تات هذه السنة حتى بلغت تجارتها معها ٤٠ مليون فرنك فكأنها في مدة ثلاثين سنة قد ساوت فرنسا التي مضت عليها قرون وتجارتها موصولة الاسباب مع البلاد العثمانية

وان سألت عن اسباب تقدم المانيا ونكوص فرنسا اجبتك ان المعامل الفرنسوية تعتمد بالاكثر في ترويج بضائعها على « عملاء » من اليونان والالمان والايطاليان فيخدعونها و يربحون على ظهرها . اما المعامل الالمانية فانها ترسل عمالاً المانيين مخصوصين من قبلها وتتخذ لها عملاء دائمين في الاسواق المهمة فيلح هولاء العمال والعملاء في سبيل عرض بضائعهم وتصريفها الحاحاً يفضي الى ترويجها . وفضلاً عن ذلك فان لهم شركة كبيرة تدعى شركة التصدير وهي ذات فروع في مصر واليونان والاستانة وسالونيك وازمير ومرسين و بيروت وحلب ودمشق و يافا وحيفا و بروصه . وهذه الفروع تعرض على المشترين جميع اصناف

البضائع التي يطلبونها ويكون لديها مثال منها لان المشترين في الشرق يلذ لهم شراء الاشياء التي يشاهدونها ويكرهون الشراء بلا مشاهدة ولا فحص . وما عدا هذا فان المعامل الالمانية تصنع بضائعها حسنة الظواهر رخيصة الثمن طبقاً للذوق الشرقي . واما المعامل الفرنسوية فانها تحسب انه يجب على ابن الشرق ان يخضع لذوق ابن باريز ولذلك لا تصنع بضائعها الا على ذوقها . وقد آلت المانيا على نفسها ان تحتكر جميع السكك الحديدية في الاناضول فاذا تم لها ذلك صارت صاحبة الكلمة التجارية العليا فيها ولم يبقَ لفرنسا سوى الخطوط الحديدية الصغيرة في سوريا . فمسكينة انت يافرنسا ما هذا النكوص امام المانيا . اذكرْ انه لم يكن احد في القرن السادس عشر قادراً على الاتجار في البلاد العثمانية الا بواسطتنا وتحت رايتنا بناءً على الامتيازات التي كانت لنا . اما الآن فقد سبقنا مناظرونا . ولا ريب ان ذلك عقاب لنا من الله على خطيئة الملك فرنسيس الاول . فان هذا الملك خان اوربا في ذلك الزمان وحالف الدولة العثمانية عليها . فكافأته الدولة على ذلك بمنحها اياه الامتيازات التي تقدم ذكرها والتي كانت كأنها الثلاثون درهماً التي قبضها يهوذا . والغريب العجيب ان يكون فرنسيس الاول قد حالف تركيا على امبراطرة الالمان الذين كانوا اعداءه وان تركيا تحالف اليوم عليه امبراطرة الالمان الذين هم اعداء فرنسا »

سوريا القديمة والحديثة

بقلم حضرة العالم الفاضل جبر افندي ضومط استاذ البيان في الكلية الاميركية في بيروت
وهي الخطبة التي القاها في الحفلة السنوية التي عقدتها هذه الكلية في ١٠ يوليو الماضي
ومنحت جنابه فيها رتبة معلم في العلوم اعترافاً بفضله

ايها السادة والسيدات الكرام

بعد الحمد والدعاء اعتذر اليكم عن نفسي اني لست خطيباً ثم استأذنكم ان ابدأ بموضوعي رأساً فاقول

سوريا على ما قاله كثيرون من ثقاة الغربيين اسم مقتطع من اشوريا يعني بلاد اشور وقد ورد في كتب متقدمي المؤرخين وثقاتهم كهرودتوس وامثاله وارادوا به كل البلاد التي يحدها الفرات والدجلة الى خليج فارس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وآسيا الصغرى شمالاً والعربية جنوباً . الا ان المتاخرين عن اولئك اطلقوا هذا الاسم على ما هو الشائع الآن

اعني على جزء من هذه البلاد يحده خطٌ يمرّ بخليج اسكندرونه على موازاة خطوط العرض شمالاً و بعض الفرات و بادية الشام شرقاً والعربية جنوباً والبحر المتوسط غرباً

﴿ تقسيم سوريا الطبيعي ﴾

وتقسم سوريا الى ثلاثة اقسام طبيعية (الاول) سوريا الشمالية وتبتدئ من جبال طورس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن مدنها حلب وانطاكية وحماه • (الثاني) سوريا المتوسطة وتبتدىء من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً • ومن مدنها المشهورة في الداخلية حمص وتدمر ودمشق و بعلبك وعلى الساحل طرابلس وجبيل و بيروت وصيدا وصور • (الثالث) سوريا الجنوبية وهي ما بقي من سوريا وتشتمل على ما يُعرف قديماً ببلاد فلسطين او ارض كنعان من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً • ومن مدنها الساحلية عكا وحيفا و يافا وغزه والعريش ومن الداخلية طبريه والناصره ونابلس واورشليم والخليل

﴿ تقسيم سوريا السياسي ﴾

اما تقسيم سوريا السياسي فلما كان ولا يزال يختلف باختلاف الازمنة رايت ان ادع التفصيل فيه واكتفي بذكر الامم التي سكنت البلاد من اول عهد التاريخ الى الآن واشير الى مواطنهم فيها مع الالماع الى ما طرأ على مواطن تلك الامم من التقلبات وما تعاقب عليهم من الدول الى ان صارت جميع هذه الشعوب والممالك شعباً واحداً ومملكة واحدة عثمانية في ايام فخر سلاطيننا العظام جلالة مولانا عبد الحميد خان • والغاية من كل ذلك ان اتوصل الى بيان اسباب عظمة سوريا قديماً وما تُبنى عليه عظمتها في المستقبل• والذي اساله من كرم اخلاقكم ان تعيروني جانباً من التفاتكم واكم عليّ ان اختصر بقدر ما في الامكان

ايها السادة• في ايام الآباء اي من نحو اربعة الآف سنة تقريباً كان العمالقة والحوريون يسكنون البلاد جنوبي بحيرة لوط الى راس خليج العقبة والرفائيون شرقي الاردن من ارض باشان شمالاً الى وادي ارنون جنوباً • والحثيون والاموريون والعمونيون الفلسطينيون غربي بحيرة لوط الى شواطئ المتوسط • واما بقية البلاد غربي الاردن فكان اليبوسيون في اورشليم والحويّون في نابلس والكنعانيون في البلاد من جنوبي صور الى يافا واشقلون كل الساحل البحري ومعظم السهول الخصيبة فيما يليه من منابع الاردن الى مصبه في بحيرة لوط • وكان ايضاً الحثيون في سوريا الشمالية والاراميون والفينيقيون في سوريا المتوسطة

هولاء على السواحل واولئك في الداخلية

ثمَّ بعد دخول الاسرائيليين ارض كنعان صارت شعوب سوريا ومواطنهم فيها على ما ياتي· العمالقة والفلسطينيون والادوميون والموابيون والعمونيون والاسرائيليون وبقايا الكنعانيين في سوريا الجنوبية· والاراميون والفينيقيون في مساكنهم الاولى في سوريا المتوسطة· والحثيون اسياداً في سوريا الشمالية· وما زال الحال كذلك نحواً من ثلاث مئة سنة تارةً يتقوى الموابيون والعمونيون وتارةً العمالقة والمديانيون وتاراتٍ الفلسطينيون الى ايام صموئيل النبي وكان الفلسطينيون حينئذٍ في منتهى قوتهم والاسرائيليون في منتهى ضعفهم ذلك لانهم كانوا قد تفرقت عصبيتهم وانحلت جامعة اسباطهم التي كانت لهم ايام يشوع· فسعى صموئيل النبي في ضم شملهم وتوحيد كلمتهم واقام عليهم ملكاً شاول ابن قيس من سبط بنيامين فملك اربعين سنة وقام عليهم بعده داود النبي فحارب حروبهم المشهورة وانتصر على اعدائهم والامم حواليه شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً· وفي ايامه بلغ اليهود منتهى عزهم وامتدت سلطتهم على كل سوريا الجنوبية وعلى سوريا المتوسطة ما عدا الساحل كل بلاد الاراميين حتى تجيءَ الى مدينة تفسح على الفرات شمالي تدمر· فصارت امم سوريا ومواطنهم فيها ايام داود وايام سليمان ابنه على ما ياتي

اليهود اسياد في سوريا الجنوبية واخوانهم وابناء عمهم الموابيون والعمونيون ومن لف لفهم عبيد مستتبعون لهم فيها ايضاً· والاراميون يؤدون الجزية للاسرائيليين في سوريا المتوسطة ما عدا السواحل البحرية على البحر من عكا جنوباً الى ارواد شمالاً· والحثيون في سوريا الشمالية من حماه الى كركميش· الا ان الاراميين كانوا قبيل ذلك قد تداخلوا على الحثيين في كثير من مساكنهم الجنوبية وازاحوهم عنها الى الجهات الشمالية

لكن لم يلبث ان طرأ بعض التغيير على الحالة المارة· فان الاسرائيليين رجعوا بعد موت سليمان الى سالف تنافسهم وتخاذلهم فانقسمت مملكتهم الى مملكتين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب فقضي بذلك على عزّ اليهود وخرج عن طاعتهم اكثر الامم الخاضعة لهم واستمر الحال على ذلك نحواً من مئتي سنة وسوريا على ما نذكره : صور في الساحل سيدة البحار في المعمور وابناؤُها منتشرون في العالم وبيدهم زمام التجارة كانما هم ابناء البريطانيين في الزمن الحاضر وربما كانوا اشد نشاطاً في الاعمال واكثر اقداماً على الاسفار رغبة في المكاسب والارباح· ومملكتا يهوذا واسرائيل مما يلي الساحل تتسالمان تارة وتختصمان تارات· والاراميون في سوريا المتوسطة يتوثبون تارة على الاسرائيليين وتارةً على

الحثيين . واما في سوريا الشمالية فكان الحثيون قد تراجعت احوالهم وتقلص ظلهم بما كان من مناوأة الاشوريين اهل نينوى لهم فتركوا قادس عاصمتهم ايام رعمسيس الى كركميش على الفرات

وفي هذه الاثناء عظم شان الدولة الاشورية فاخذت تغزو الى سوريا كلما آنست من نفسها قوة او بالحري كلما قام على سريرها ملك يرغب في المجد العسكري من جهة وفي انتهاب الاموال من جهة اخرى وتكررت غزوات الاشوريين حتى كانت ايام سرجون احد عظماء ملوكهم فجهز هذا جيوشه وعبر الفرات الى كركميش فحاصرها وما زال عليها حتى استفتحها عنوةً ونقل اهلها الى بلاد اشور وهكذا كان فعل في دمشق والسامرة فصارت من ثم كل البلاد اعني سوريا الشمالية والمتوسطة وبعض الجنوبيـة ولايات اشورية ما عدا الساحل البحري واليهودية فانها بقيا على الجزية . واستمر الحال على ذلك الى ايام نبوخذنصر فوجه غاراته الى سوريا واجلت غزواته فيها عن انقراض استقلالية جميع شعوبها وصيرورتها ولاية بابلية يحكمها ولاةٌ من قبل البابليين . ثم جاء بعد البابليين الفرس ومن بعد الفرس اليونان ومن بعد اليونان الرومان وحكم الرومان سوريا نحواً من سبعمئة سنة من سنة ستين قبل المسيح الى ان استخلصها العرب من ايديهم سنة ٦٣٨ بعد المسيح

ثم ما زالت سوريا في ايدي المسلمين تتداولها منهم دولة بعد اخرى الى ان كانت الحروب الصليبية فاستولى حينئذٍ الصليبيون على الشواطىء البحرية من انطاكية الى يافا وغزة . لكن لم تأتِ سنة ١٢٠٠ للمسيح وفي البلاد واحد منهم وذهبت آثارهم جملة

وفي بداءة الجيل الخامس عشر كانت غزوة تيمورلنك فخرب البلاد تخريباً وقد اكثر تيمور هذا من القتل والنهب والسبي بما لا تزال البلاد تذكره الى اليوم لشدة ما كان من وقعه في نفوسهم . واشد ما كان ضرره في البلاد انه اخذ من دمشق وسائر البلاد ارباب الفضل والصنائع وكل ماهر في فن من الفنون اي فنٍ كان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤوس جنده وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند وهكذا فعلوا . والظاهر ان جنوده قتلوا اغلب هؤلاء وهم راجعون الى بلادهم فخسرت بذلك سوريا خسارة لم تعوض بعد

وفي سنة ١٥١٦ دخلت سوريا في حوزة العثمانيين وفي سنة ١٨٧٥ قدر الله لهـا ان اقام على سرير السلطنة العظمى جلالة الغازي مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني فدخلت على عهده الممالك العثمانيـة في طور جديد وستبلغ فيه بعونه تعالى ولا سيما سوريا مبلغاً من العزّ والعظمة لم يكن لها من قبل ان شاء الله

ايها السادة الكرام . لم يخطر في بالي اصلاً ان اتغلغل في تاريخ سوريا لا قديماً ولا حديثاً انما اردت بما ذكرته من الفذلكة التاريخية ان احضر امامكم صورة اجمالية لسوريا منذ اول امرها الى اليوم توطئة للسؤالات الاربعة الآتية وهي :

« اولاً » ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟

« ثانياً » ماذا كان سبب عظمة سوريا قديماً ؟

« ثالثاً » ماذا كان سبب انحطاطها الى الآن ؟

« رابعاً » بماذا تقوم عظمتها المستقبلة . و بعبارة اخرى بماذا ترجع الى مقامها الذي فقدته جملةً من مدة لا تزيد عن الخمسمائة سنة وانزاحت عن آخر موقف منه منذ تمَّ فتح خليج السويس ؟

﴿ السؤال الاول ﴾

ونبدأ بالسؤال الاول اي ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟ والجواب عن هذا السؤال يستدعي معرفة الشعوب الذين كانوا في سوريا قديماً والشعوب الذين في البلاد المحيطة بها ايضاً اما الشعوب الذين كانوا فيها في ايام ملوك اسرائيل فهم كما رابنا الادوميون والعمونيون والموابيون والاسرائيليون في سوريا الجنوبية والاراميون في سوريا المتوسطة والشمالية والفينيقيون في ساحل البحر . فان قيل واين تذهب بالكنعانيين والحثيين ؟ قلتُ اما الحثيون فكانوا على الراجح المسلطين على البلاد كالرومانيين بعدهم مثلاً لا سكانها الاصليين ولذلك فلما انقرضت دولتهم انقرضوا من سوريا وبقي اهلها الاصليون اعني الاراميين . واما الكنعانيون فاولى ان يلحقوا بالعبرانيين لان هؤلاء خالطوهم فزوجوهم وتزوجوا منهم من اول عهد اتصالهم بهم الى ايام السبي ولما كانوا اقل عدداً من العبرانيين غابت جنسيتهم في جنسية العبرانيين . وروَّج هذه المخالطة والامتزاج ما كان بين الامتين من المقاربة في اللغة والاخلاق والعادات . وزاد في تعجيل الالتحام أنَّ اليهود كانوا يرون الكنعانيين المغلوبين ارقى واعرق منهم في المدنية فلم يستنكفوا من مصاهرتهم والاختلاط بهم . وكذلك الكنعانيون المغلوبون لم يروا حطة باصهارهم الى اليهود وامتزاجهم بهم شان الامة المغلوبة مع الامة الغالبة . وعليه نقول ان شعوب سوريا كانوا مؤلفين من قبيلتين كبيرتين العبرانيين والاراميين . العبرانييون في الجنوب والاراميون في الشمال وهما شعبتان من الارومة السامية و ينضم الى هولاء قبيلة صغيرة اعني الفينيقيين سكان السواحل وهم من الارومة الحامية

واما البلدان المحيطة بسوريا فاذا نظرتم ايها السادة الى الخارطة رأيتم العربية وشواطىء

الفرات تحيط بها جنوبًا وشرقًا واسيا الصغرى والبحر المتوسط شمالاً وغربًا ولكن لما كانت جبال طورس تفصل سوريا عن اسيا الصغري وتجعل المهاجرة من احدى البلادين الى الاخرى امرًا صعبًا ولما كان اهل اسيا الصغرى يخالفون السوريين في اللغة والاخلاق والعادات ويرون في بلادهم من الخصب وجودة الهواء فوق ما يرونه في سوريا كانت رحلاتهم اليها قليلة. ولم ينقل الينا التاريخ ان امة منهم هاجرت اليها وبخلاف ذلك ما هو مشهور عن العربية وشواطئ الفرات. فان اهل هاتين البلادين ما زالوا منذ ايام ابرهيم الخليل الى هذه الساعة يرحلون افرادًا وجماعات الى سوريا وعليه فيهمنا تحقيقًا للجواب عن سؤالنا ان نعرف من هم شعوب العربية وشعوب ما بين النهرين وابناء من هم. ومعرفة ذلك ليست من الامور المشكلة لانه نحقق ان سكان هاتين البلادين اعني العربية وما بين النهرين هم من العبرانيين والاراميين وابناء عمهم القحطانيين وكلهم من الارومة السامية ومن قبيلة اخرى صغيرة كشوية وهي من الارومة الحامية

والمأخوذ من كل ذلك وهو ما اردتُ الوصول اليه ان سكان سوريا وسكان العربية وسكان ما بين النهرين جميعهم من ارومة واحدة سامية اختلط بهم من قبل زمن التاريخ شعبة من الحاميين امتزجت بهم وغابت جنسيتها في جنسيتهم حتي لم تعد تتميَز بوجه من الوجوه. وجميع هؤلاء الشعوب والقبائل كانوا وما زالوا يتشابهون في اللغة والاخلاق والعوائد منذ الاف من السنين الى وقتنا الحاضر. وجميعهم ايضًا على ما عُلم من احوالهم سريعو الاجابة الى ما يوافق اميالهم ومشاربهم الفطرية متعاصون عما يخالفها ويصعب بل يستحيل ان يُنقلوا الى جنسية غير جنسيتهم ولغة غير لغتهم واخلاق غير اخلاقهم. ويكفيني ثبتًا لهذه الحقيقة ان اشير الى ما كان من امرهم مع دول الفرس واليونان والرومان اولاً ومع دولة العرب اخيرًا فانهم تعاصوا على الدول الثلاث الاولى فلم يمتزجوا بهم ولا تجنسوا بجنسيتهم ولا تعلموا لغاتهم الا مكرهين. ومع ان الدولة الرومانية العظيمة المسماة بالدولة الحديدية حكمت في البلاد وجعلتها جزءًا من ممالكها نحوًا من ٧٠٠ سنة فمع ذلك لما كان الفتح الاسلامي وانسحبت جنودهم وموظفوهم من البلاد كانوا كأن لم يكونوا فيها ولا حكموا اهلها بعصًا من حديد فامحت آثارهم من اللغة والعوائد والازياء والجنسية. لم يبقَ شيء من كل ذلك بخلاف امرهم مع دولة الاسلام فانه لم يمضِ على هولاء قرن واحد بعد ان افتتحوا سوريا حتى صارت البلاد عربية في لغتها واخلاقها وعوائدها ولا تزال كذلك الى هذه الساعة مع ان الدولة العربية انقرضت من البلاد منذ عدة مئات من السنين وما ذلك

الا لبعد الرومان وُبعد العرب من السور بين في اللغة والاخلاق والعوائد كما ذكرنا

﴿ السؤال الثاني ﴾

ولنتقدم الآن الى السؤال الثاني وهو ما سبب عظمة سوريا قديماً ؟

لعظمة بلادٍ ما اسباب منها ان يكون في البلاد دولة قاهرة تمد فتوحاتها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كالدولة الرومانية مثلاً وهذا لم يكن لسوريا قط واعظم دولة قامت فيها دولة اليهود ايام دواد وسليمان . ولكن هذه الدولة لم تتجاوز سوريا بل لم تتبع الا الجزء الجنوبي منها مع بعض النفوذ في الجزء المتوسط واقل منه في الجزء الشمالي

ومنها ان تكون البلاد متسعة المساحة كثيرة عدد السكان كثيرة المياه والانهار وان تكون عشائرها متحدة معاً تضمهم دولة واحدة يجتمعون تحت لوائها لا يتخاذلون عن نصرتها ولا يتربصون بها الدوائر انما هم جميعهم على الاجنبي قلب واحد ويد واحدة . وهذا ايضاً لم يكن لسوريا قديماً فان مساحتها لا تزيد عن الخمسين الف ميل مربع وانهارها قليلة ليس منها ما يصلح للملاحة وامطارها قليلة ولا سيما في الجزء الجنوبي منها . واما اهلها فما زالوا عشائر متخاذلة لم تجتمع لهم كلمة ولا انضموا تحت لواء واحد وطالما كانوا يتربص بعضهم الدوائر بالبعض الآخر

ومنها ان تكون البلاد غنية بمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وهذا لم يكن لسوريا ايضاً فانه لم يُعرف عنها الى اليوم ان كان فيها معادن ذهب في جبالها او مغاوص لؤلوء في بحارها

ومنها اتساع التجارة واتقان الصناعة والزراعة . وليس شيء من اسباب العظمة محقق في عظمة سوريا الا هذا السبب . فان اهلها سكان البدو وسكان المدن كلهم كانوا اما تجاراً او متلبسون باسباب التجارة وقد اجمع المؤرخون على ان تجارة الفينيقيين ايام عظمة سوريا بلغت من الاتساع والانتشار مبلغاً قصرت عنه الامم القديمة عن آخرها ولم يكن له مثيل على ما يقولون الا اتساع تجارة الانجليز في الوقت الحاضر . وكذلك اجمع هولاء ان الصناعة والزراعة كانتا في سوريا على ارقاها ايام كانت التجارة ايضاً على ارقاها وانحطتا بانحطاطها . ولما انحطت التجارة وانحط هاتان معها انحط عزُّ البلاد وعظمتها وهذا ما اريد ان اقيم البرهان عليه وهو موضوع بحث السؤال الثالث اي ماذا كان سبب انحطاط سوريا الى الآن

﴿ السؤال الثالث ﴾

كانت صيدون في ايام يشوع المدينة العظيمة والمتقدمة على جميع مدن فينيقيـة . ذلك

لانها كانت اوسعهن تجارة واكثرهن غنى وارسخ في الصناعة قدماً . لكن ما بين القرن الخامس عشر والثالث قامت المعاهدة البلاسجية واخذت تتعقب الصيدونيين وتزيلهم عن مواقفهم التجارية في البحر المتوسط فتاخر من ثم غنى الصيدونيين وانحطت عظمتهم على نسبة ما ابتزت منهم هذه المعاهدة القوية من المراكز التجارية

ثم ما زالت تتأثرهم هذه المعاهدة الى ان جاءت شعبة منهم الى نفس فلسطين واستولت على السواحل من يافا الى غزة واخذت تسابق الصيدونيين في التجارة في نفس بلادهم ثم ادت هذه المنافسة في التجارة الى المنافسة في السياسة ايضاً فان الفلسطينيين لما اثروا وامتدت تجارتهم وكثرت صناعتهم طمعوا في الصيدونيين وتوثبوا على بلادهم المجاورة ينتزعون منها مكاناً بعد آخر ويلحقونه باملاكهم الى ان كانت سنة ١٢٠٠ ق م فحملوا على حين غفلة بمراكبهم على صيدا فاستفتحوها عنوة وخربوها وشتتوا اهلها في الافاق . الا ان صيدا عاد لها بعد ذلك شيء من عزها على نسبة ما عاد لها امتداد التجارة لكن سبقتها صور منذ نكبتها هذه ومازالت سابقة لها الى ان قُضي على المدينتين معاً

ولا يمكنني ان آتي على تفاصيل ما طرأ على عظمة صور وكل بلاد فلسطين تبعاً لها ولكن اقول اجمالاً ان صور ما زالت في اوج عظمتها منذ ١٢٠٠ سنة قبل المسيح الى ايام سرجون الاشوري سنة ٧٢٥ وذلك لانها كانت كل تلك المدة لا يسابقها مسابق في التجارة والاقدام على الغربة وقطع البحار . وكانت صناعتها حينئذ بالغة اعظم مبلغ من الاحكام والاتقان فلما جاء سرجون حاصرها سنيناً ومع كل قوته لم يقوَ عليها . فصالحها على الجزية لكن ما زالت التجارة في يدها يرد اليها بها من فائض الغنى اضعاف ما كان ينز منها جزيةً للاشوريين فامكنها ذلك من ان تصانع دولتهم العظيمة وتحفظ استقلالها منهم ان يذهبوا به على حين سقطت اغلب ممالك سوريا وصارت ولايات اشورية . ثم جاء نبوخذ نصر الكلداني فحاصرها ثلاث عشرة سنة وافتتحها اخيراً عنوة فقتل ونهب واسر ما شاء . لكن لما كانت التجارة لا تزال بيدها عاد اليها الغنى فعاد اليها ما كان لها من العظمة الى ان جاء الاسكندر المكدوني ولاسباب حاصرها هذا الرجل واستفتحها بعد ثمانية اشهر فنكل في اهلها تنكيلاً لم يُرَ منه مثله . ولو اكتفى الاسكندر بما فعله بها من القتل والنهب والاستعباد لهان عليها الامر مع فظاعته لكنه بنى مدينة الاسكندرية قصداً لتزاحم صور في التجارة فكان ذلك اشد عليها بمرات مما نكبها به هذا المكدوني الظافر لان الاسكندرية قاسمتها بعد ذلك التجارة وذهبت بقسم عظيم منها . فمن ثم لم ترجع صور الى عزها بعد فتح الاسكندر

كما رجعت اليه بعد فتح نبوخذ نصر . لكن لما لم يكن في استطاعة الاسكندرية ان تحول كل موارد التجارة عن سواحل سوريا بقيت صور وغيرها من مدن الساحل بمكان من العظمة والاهمية كل ايام خلفاء الاسكندر وايام الرومانيين وايام الخلفاء من بعدهم في دمشق وبغداد الى ايام غزوات الصليبيين . كل ذلك لان مقتضى احوال العمران لتلك الازمنة وعلاقات الممالك والشعوب بعضها ببعض كانت تقضي ببقاء المدن السورية صور وغيرها محطاً لقسم كبير من تجارة المعمور حينئذٍ . لكن الغزوات الصليبية غيرت من علائق الامم فنشأ في اثنائها على شواطئ ايطاليا مدن تجارية قضت الاحوال الواقعة ان تتقوى تلك المدن شيئاً فشيئاً وتعظم تجارتها فلم تنقض تلك الغزوات الا وهذه المدن من اهم مراكز التجارة بين غربي اوروبا وغربي اسيا وابتزت من المدن السورية معظم ما ابقته لها الايام بعد بناء الاسكندرية من موارد التجارة . فخربت مدينة صور العظيمة وقارب غيرها الخراب وانحطت سوريا اجمالاً الى حالة لم تعرفها من قبل . ولو وقفت الحال عند الحد الذي اشرنا اليه من قيام المدن الايطالية التجارية لهان الامر على سوريا كما هان عليها قيام الاسكندرية من قبل لكنَّ البرتغاليين اهتدوا الى طريق راس الرجاء الصالح فجعلوه طريقاً جديداً للتجارة بين اوروبا والشرق ثم لم يلبث ان اكتشفت اميركا ايضاً فتحولت وجهة التجارة راساً بين اوروبا وآسيا اليها وقامت المدن التجارية في اسبانيا وفرنسا وهولانده وانكلترا فكان ذلك الضربة القاضية على جميع مدن سوريا . لكن مع ذلك بقيت بعض القوافل تتردد في التارات بين سوريا والعراق فبقي بسبب ذلك في البلاد دماءٌ من الحياة التجارية . فلما انفتحت ترعة السويس ذهبت بقية تلك الحياة

وليس اللوم على السوريين في شيءٍ مما صاروا اليه من التراجع لانهم لا يستطيعون ان يعارضوا مجرى الايام ولا ان يغيروا من طبائع العمران والامر لله يفعل ما يشاء . فهذا كان ايها السادة سبب عظمة سوريا وهذا كان ايضاً سبب انحطاطها لا ما قد يقال من الاسباب فانها جميعها ثانوية ما عدا الاسباب التي ذكرناها فان المتأمل لا يرى بدّاً من التسليم بها

﴿ السؤال الرابع ﴾

بقي عليَّ السؤال الاخير وساختصر في جوابه ما استطعت وهو بماذا ترجع سوريا الى عزها القديم . ايها السادة . يُنتظر ممن كان في صناعة مثل صناعتي وفي موقف كموقفي ان يسند اسباب عظمة سوريا في المستقبل الى العلم وانا لا انكر دخل العلم ولا اهميته في تقدم البلاد

على العموم لكن ما هذا قصدت لانه سبب عام تشترك فيه كل بلدان المسكونة على السواء. وهو اوضح من ان يحتاج الى تخصيصه بالذكر انما قصدت سببين عظيمين (اولهما) البيت العثماني الكريم (والثاني) الزراعة وما يلحق بها من تربية الحيوان والنبات وتسهيل جميع وسائط النقل والمواصلات . ولما كان هذان السببان من الاهمية بمكان رايت ان استعطفكم ببضع دقائق بعد ولو شق ذلك على حلمكم والكريم من صبر . ايها السادة. ان البيت العثماني وجد سوريا بل كل البلاد من البحر المتوسط غرباً الى اطراف ما بين النهرين شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الهندي جنوباً في حالة ما بعدها حالة من التفرق وانقسام الكلمة. ووجدها ايضاً تكاد تكون خلواً من الصناعة ومن اهل الصناعة ايضاً فضلاً عن انحطاطها في الزراعة الى آخر ما يمكن لبلاد كبلاد ما بين النهرين ان تنحط اليه. وفوق كل ذلك وجدها وقد تحول عنها طريق التجارة فبلغت من جراء ذلك الى اقصى درجات الفقر والخمول بما جعل الهمم تتراجع والنفوس تتصاغر والايدي تنكمش حتى عن الجد في تحصيل اسباب المعاش. فجعل هذا البيت الكريم من همه اولاً ان يجمع شتاتها . ويضمها جميعاً تحت راية واحدة ولسلاطينه العظام من السعي المشكور في هذا السبيل ما يخلد لهم الذكر مدى الدهر . لكن قضى الله ان يكون اكبر الفخر لواسطة عقد هذا البيت الكريم جلالة مولانا عبد الحميد خان فانه اخرج الى حيز الوجود ما كانت اباؤه العظام تحوم حوله ولا تقع عليه اعني توحيد الكلمة وجعل هذه البلاد الواسعة الخصيبة الطيبة الماء والهواء مملكة واحدة عثمانية وشعباً واحداً عثمانياً . فلسنا بعد كما كنا في ايام الرومانيين مثلاً شعوباً وممالك متفرقة تحت راية واحدة قاهرة بل نحن اليوم شعب واحد ومملكة واحدة عثمانية شملها السلام من اقصاها الى اقصاها . هذا هو الركن الاول وهذا هو الركن الاساسي الذي وضعه جلالة عبد الحميد لتبنى عليه عظمة بلادنا في المستقبل . ولا يسعني الوقت ان ابين ما لجلالة مولانا السلطان من الفضل الباهر في وضع هذا الاساس العظيم المتين على ان التفاتة واحدة الى الخارطة تغني عن الكثير من الشرح والايضاح فلنتقدم الان الى السبب الثاني وهو الزراعة وتوابعها فاقول

﴿ الزراعة دون سواها ﴾

انتم تعلمون ايها السادة ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه انما هي التجارة والصناعة والزراعة وقد رأينا ان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي ولا شك ان عليها ايضاً تقوم عظمتها المستقبلة . لا طريق ولا

واسطة غير ما ذُكر. اما العلم ففائدته واهميته انما هي في ترقية هذه الاركان الثلاثة. وعليه فيهمنا ان نعرف باي هذه الاركان نبتدىء اليوم والى ايها ينبغي ان توجه رجالُ البلاد ومن يتوقف عليهم تقدم البلاد الهمة والاعتناء خاصة. أَالى التجارة؟ وتعلمون ماذا يراد بالتجارة كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر. افتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر. انستطيعون ان تمحوا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط؟ انستطيعون ان تخفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجاء الصالح وتردمون ترعة السويس؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة ووجهوا اليها عنايتكم الخاصة. بماذا تبدأُون اذن؟ لعلكم تقولون نبدأ بالصناعة لكن اي صناعة تعنون اصناعتكم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارتهم؟ لا شك انكم تعنون الصناعة الاوروبية لكن فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاوروبية لتقوم بها والا فتسقط لا محالة. وقد راينا قبيل الان ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبيهات والاحلام التي لا تجدينا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة. تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائط النجاح امامنا الان. ولا تحلموا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضغاث احلام تعلمون بطلانها ولو بعد حين. اذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة. واعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها. اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستعمارها. اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان. اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات. لكن قبل كل ذلك تعلموا كلما يتعلق بما تعقدون لاجله الشركات فلا تقدموا عليه من غير علم ولا سابق اختبار فان ذلك يقضي بالخيبة والفشل. فياشبان البلاد المتعلمين والمتهذبين ويا اصحاب الهمة والعزيمة الراغبين في ان يبنوا لهم ولبلادهم مستقبلاً مجيداً وجهوا خواطركم الى استعمار اراضي بلادكم الواسعة الخصيبة فانكم لستم افضل من ابناء الانكليز ولا تجارتكم كتجارتهم ولا صناعتكم كصناعتهم ومع ذلك فان مئات من نخبة شبانهم وابناء الاغنياء والمتوسطين منهم يدرسون سنوياً في المدارس الزراعية فيتعلمون كيف يفلحون ويزرعون وكيف يربون الحيوان ويغرسون الاشجار المثمرة والمغروسات النافعة ويتعلمون كيف يصلحون الالات الزراعية وكيف يخططون الطرق العادية والحديدية ثم يرحلون في طلب الاستعمار الى اراضٍ تاكل اهلها الى افريقيا واستراليا وجزائر المحيط. فتعلموا مثلهم وانتم في غنى عن شبه مهاجرتهم الشاقة لان بلادكم

جنة الله في ارضه ومن الجهل ان تتركوا استغلالها الى التعلل بالامال الفارغة والصناعات الخاسرة والاستخدامات الكاسدة فضلاً عن ان هذه الصناعات وتلك الاستخدامات سيسد بابها عما قليل فتعنون انفسكم باطلاً وتقتلون اوقاتكم بالتشبهات والتشكيات . انا اعلم ان كلامي لا يصادف الان اذاناً سامعة لكن غاية ما في وسعي ان انبه الى الخير ولا تكلف نفس الا وسعها

خريسطوفوروس جباره

لبعض الناس القصيري النظر والقاصري الحكم خصلة مستهجنة وهي انهم ينظرون في كل شؤونهم الى من يقول القول لا الى القول نفسه . فاذا راموا الحكم على رأي من الآراء لزمهم ان يسالوا عمن رآه ومن قاله فاذا كان القائل يظهر كبيرًا في مخيلتهم « الذبابية » اعظموا القول وقائله واذا كان يظهر غير كبير صغروا القول وقائله . فشانهم في ذلك شان من لا باصرة له تحكم وتعقل وانما يبني حكمه على حكم سواه

وهذا الداء كثير الانتشار في الصحف العربية الشرقية وذلك من سوء حظ الادب العربي والنهضة الادبية الشرقية لانه بمثابة عثرة في طريقها . ولكن لهذا الداء دواء وهو رجوع كل كاتب الى نفسه والى عقله في الحكم على الاشياء والاشخاص التي تمرّ تحت نظره ووضعها في الموضع الذي تجعلها فيه باصرته دون محاباة ولا مراعاة عملاً بناموس الانصاف وان كان في ذلك ما ينافي هواه او مصلحته .

ومن اجل هذا نرى واجباً ان نقطع في هذا الفصل حبل السكوت عن رجل توفي في الشهر الماضي واكثر القراء يعرفونه او سمعوا باسمه . وهذا الرجل هو المرحوم خريسطوفورس جباره الذي اخذ على نفسه في حياته مسألة توحيد الاديان اليهودية والمسيحية والاسلاميه او اظهار « الوفاق بين التوراة والانجيل والقرآن » كما كان يقول . فانه لا يحسن ان ينتقل من هذا العالم رجل اقدم على عمل هائل كذلك العمل دون ان يودَّع بفصل يُظهر للقراء حقيقة ذلك الرجل الذي كان يحسب انه يعمل عملاً عظيماً لم يسبقه اليه احد من المتقدمين والمتأخرين

وكان بدء معرفتنا به ارساله الينا في عام ١٨٩٩ مؤلفاته مشفوعة بكتاب طويل قال فيه « بما انكم تحبون وتخدمون الامة باحسن ما تستطيعون وضمّ قلوب الامة المتفرقة في الله

واتحاد ارواح عقائدها هو على اعتقادي من اقوى وانفع واثبت واعم الخدم للشعوب العثمانية وللدولة فاقدم اليكم آخر مؤلفاتي في هذا الباب راجياً مطالعتها » وقد تصفحنا هذه المؤلفات وهي تزيد على الخمسة والستة فراينا انه قد صرف جهده فيها الى اقامة البرهان على خطاء المسيحيين والمسلمين واليهود في ما يعتقدونه في هذا الزمان · خطأُ المسيحيين لانهم يعتقدون بلاهوت المسيح والمسلمين لانهم لا يعتقدون بصحة الانجيل واليهود لانهم ينكرون مجيء المسيح · وحاول ان يثبت من كتب هذه الطوائف الثلاث ان اديانهم وكتبهم متفقة لا خلاف فيها البتة فلا موجب لهذا العدوان بين بعضهم البعض

وقد قدم من العاصمة الى الثغر بعد ارساله مؤلفاته الينا ببضعة اسابيع فزارنا للمرة الاولى فوجدناه ربعة الجسم عريض العضلات قصير القامة بلحية طويلة يخالطها الشيب وجده موي فوقه طربوش وتحته قفطان اسود بسيط · فتاملنا في وجه هذا الرجل الذي كان يضع نفسه فوق الامم المعاصرة ليعلمها ما كان يسميه الدين الحقيقي فلم نجد في عينيه تلك القوة التي تكون في عيون قادة الامم ولا في نفسه تلك الحماسة التي تسري من الانبياء الى شعوبهم كما تسري الكهربائية من جسم الى جسم فتكهربه · بل راينا امامنا نظرًا جامدًا لا يدل على نباهة ولا خمول وجسماً فيه المادة اقوى من الروح · غير اننا وجدنا في مقابلة ذلك لساناً طلقاً لا يكلُّ ولا يملُّ كانه مركب فوق لولب

فاخذ خريسطوفوروس يحكي لنا تاريخه · فقال انه كان من قبل ارشمندريتاً في « انطوش » ارثوذكسي في روسيا فسعى سعياً حثيثاً لتعمير هذا الانطوش وبناء كنيسة هناك فتمكن من ذلك وصار محترماً محبوباً · فخطر له في ذات يوم ان يكتب الى بعض اخوانه من رجال الدين في سوريا ان يسعوا لجعل البطريرك اليوناني في دمشق من ابناء العرب السوريين · فوقع هذا الكتاب في يد البطريرك اليوناني فعزله من رئاسة الانطوش واستقدمه الى دمشق · وكان خريسطوفوروس قد انفق على الانطوش نفقات طائلة بعضها من ماله وبعضها مما جمعه من المحسنين فلما قدم الى دمشق الشام طالب غبطة البطريرك بالدين الذي له على الانطوش فلم يعرفه له بل ابقاه في دار البطريركية ذليلا مهملاً · قال فانقطعتُ اذ ذاك الى التامل في الاديان الحاضرة ومطالعة القرآن والانجيل والتوراة · وكنت في اثناء حياتي الماضية اشعر بقلق واضطراب في ضميري · وما زلتُ على هذه المطالعة حتى وقفت على الحقيقة وظهر لي السرّ العظيم ··· فشعرت حينئذٍ بان نارًا تضطرم في نفسي وبان صدري مخبأ للحقيقة العظمى التي اكتشفتها والتي كنت اخشى ان

اموت ولا ادعو الناس اليها . فسافرت الى اميركا وعرضت مبداءي في موءتمر الاديان فاجمع الاعضاء على استحسانه ... ثم جئت الى مصر وانشأت جريدة واخذت ادعو فيها الى الحق والفت كتباً ايضاً .

فقلنا له وماذا كان رأي الناس فيك . فضحك وقال كان رايهم فيَّ كما كان رايهم في كل من يقوم ويدعوهم الى امر جديد . ولكن مساكين هوءلاء الناس فانهم كلهم في ضلال مبين ...

فشرحنا لخريسطوفوروس حينئذٍ خشونة المركب الذي ركبه ونحن نظن ان المنطق يجد سبيلاً الى عقله . فقلنا له ان الاديان كلها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتقضي بحب القريب واتباع الفضائل ونبذ الانانية فهل رايتَ كثيرين من أتباعها يعملون بذلك ويتبعونه . فالداء اذاً ليس في الكتب ولا الاديان وانما الداء في نفوس الناس . ولا سبيل الى تغيير هذه النفوس لتعامل بعضها بعضاً كبشر لا كحيوانات الا متى انقشعت غيوم الجهل عنها وارتقت واستنارت . وهذا الامر لا يتم باقامة البرهان على خطاء اصحاب الاديان ولكن باطلاع الناس على نواميس الطبيعة واسرار الكون ومبادئ الحياة واصول الاداب والفضائل فان هذه المبادئ متى دخلت نفس الانسان جعلتها قوية على الاوهام هادئة لدى كل معارك الحياة ونبذت منها كل ما يحول دون الالفة بين البشر . فانشاء مملكة الله في الارض عمل علمي ادبي اكثر مما هو لاهوتي . وذلك العمل بطيء الحصول ولا يتمُّ الا بالتدريج الذي هو قاعدة من قواعد العلم والطبيعة . ثم انك هل رايت المسيحيين متفقين فيما بينهم لتجوز لك الدعوة الى اتفاق الامم الاسلامية والمسيحية واليهودية معاً .

فاجاب ان البشر من ام واحدة وجبلة واحدة فحرام عليهم ان يبقوا مبغضين بعضهم بعضاً . فقلنا له انك اجبتَ عن الاعتراض الاخير ولم تجب عن الاعتراض الاول . فقال ان الاعتراض الاول بحث علمي ونحن لا نبحث الآن في العلم

فعلمنا حينئذ ان العقل الذي كان امامنا عقل منصرف الى المجادلات الدينية العقيمة لا يفهم القاعدة العلمية ولا يعرف تاثيرها ولا يُدرك انه لا يمكن حدوث شيء في هذا العالم بدونها . وتحققنا حينئذ ان المرحوم خريسطوفوروس يسير على غير هدى ولا نظام في جميع اقواله واعماله كانَّ الموازنة غير مستوية في نفسه رحمه الله

ثم غاب عنا خريسطوفوروس بضعة اسابيع وعاد الينا فسالناه اين كنت في هذه المدة قال سافرتُ الى دمشق الشام لتهنئة غبطة البطريرك الانطاكي العربي بجلوسه في كرمي

البطريركية لانني كنت في مقدمة الداعين الى اخراج هذا الكرسي من ايدي اليونان الى ايدي العرب . فعجبنا لهذه السفرة بعد ما كنا قد سمعناه من فمه من التحامل الخفيف على بعض رجال الاكليروس وسالناه ماذا حدث لك في دمشق وكيف استقبلت فيها . فقص علينا قصة طويلة خلاصتها ان بعضهم زين له الرجوع الى كنيسته فاظهر لهم الطاعة والرضوخ لان السلطة التي كان يقاومها قد زالت وله حقوق قديمة في انطوش روسيا يروم المطالبة بها . ولكن وقع الاختلاف بينه وبينهم على امر التوبة . فانهم كانوا يطلبون منه بناء على القانون كتاباً يظهر فيه توبته ونبذه لكل الاقوال التي قالها والكتابات التي كتبها ورجوعه الى الحظيرة برضائه واختياره وبعد ذلك يسمحون له بالاقامة في احد الاديرة ويحسنون معاملته ويعوضون خسارته . وهو كان يقول لهم انه لا يستطيع مخالفة اعتقاده ونبذ المذهب الذي دعا اليه وانما يرضى بالاقامة في دير والخلوة فيه الى نفسه وضميره ليرى اذا كان الله يغيره بنفسه او يبقيه على اعتقاده

فلما قال هذا القول حدقنا جيداً في عينيه لنقرأ فيهما جواباً لسؤال قام حينئذٍ في نفسنا . وهو هذا : امخلص هذا الرجل في كلامه ؟ احقيقيٌّ انه يوجد الآن تحت سماء الشرق رجل يعرضون عليه رئاسة ومكافاة ليغير فكره ولا يغيره ؟ وقد قام في نفسنا هذا السؤال (وليس في قيامه شرف للمبادئ الادبية في الشرق) لما هو مشهود من « رخص » الافكار عندنا وا أسفاه وسرعة تغيرها في نفس كل ذي فكر طبقاً لمصلحته وهواه

على ان الامر الذي استنتجناه من هذه المحادثة الثانية مع المرحوم خريسطوفورس هو الاسف من ان الرجل لم يرجع من مقام البطريركية راضياً راضخاً . وقد قلنا غير مرة في نفسنا انه لو تمّ ذلك لكان لغبطة البطريرك العربي فضل عظيم في اصلاح ما افسده البطريرك اليوناني لاننا نعتقد ان التبعة في شذوذ خريسطوفورس واقع نصفها ان لم يكن كلها على السلطة الدينية التي احرجته في بدء امره فاخرجته عن دائرة العقل والتعقل . ولا عبرة بانه كان ذا استعداد لذلك فان مسبب الشر كفاعله . وقد قيل الويل لمن تأتي العثرات على يده

ولكن يظهر ان هذا الشرّ الذي جاء على يد بطريرك يوناني لم يُكتب اصلاحه الا لبطريرك يوناني . ونعني به غبطة الحبر الجليل السيد فوتيوس بطريرك كرسي الاسكندرية فانّ غبطته حين وفاة المرحوم خريسطوفوروس في العاصمة في الشهر الماضي لم يتردد في قبوله في دائرة سلطته واعتباره كرجل من ابناء رعيته وهذا مما دل على حكمة غبطته

آثار من قبل الطوفان

هل كان الطوفان عاماً على وجه الارض . مسألة اختلف فيها العلماء وان اتفق عليها اللاهوتيون . ولهم في انكار ذلك التعميم ادلة علمية وتاريخية وانثربولوجية لا محل لذكرها في هذا المقام . بل ان بعضاً منهم يذهبون الى انكار الطوفان نفسه ويعتبرونه من جملة الاقاصيص والاساطير الخرافية القديمة . قال احد هؤلاء المنكرين . ان الارض اقدم مما يظنه القائلون بالطوفان والعمران فيها قديم العهد جداً ايضاً وهو ادوار يتلو بعضها بعضاً على وجه غير متصل . وقد كانت اسطورة الطوفان بعد واحد من تلك الادوار . فانه كان في العالم قبل تمدن الاشوريين والكلدانيين والمصريين والصينيين والرومان واليونان تمدن عظيم لا يعرف التاريخ شيئاً عنه وعن اهله . وقد بلغ الناس في عهده فوق ما بلغوه في هذا الزمان من الحضارة والخلاعة والزحام على الحياة والتانق وحب صلاح الحال . وكانوا كلما ازدادوا انبعاثاً في هذه الشؤون ازدادت اخلاقهم بعداً عن الصلاح وقرباً من الفساد . ثم دالت دولة ذلك التمدن فانقرض وزال فقال مؤرخوه ان الله اهلك اولئك البشر بطوفان عظيم عقاباً لهم على فسادهم وشرورهم

ومن اجل هذا تجد كثيرين من العلماء الماديين الذين لا يثقون بتقدم العالم واستمرار الارتقاء البشري يتساءلون هل قُضي على البشر بما قضي على طائفة النمل . فان هذه الحيوانات الصغيرة تصل في حياتها الى درجة من (التمدن) محدودة فمتى بلغتها وقفت عندها ولم تتجاوزها . فهل ان الخالق سبحانه وتعالى وضع حداً لتمدن الانسان كما وضع حداً (لتمدن) الحيوان

على اننا اذا كنا لا نعرف شيئاً عن تمدن البشر واخلاقهم قبل العصر الطوفاني فاننا نعرف شيئاً كثيراً عن الحيوانات التي كانت رفيقة للانسان في ذلك الزمان . وانما نعرف ذلك من بقاياها في جوف الارض وهذه البقايا لا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام

وآخر ما عثروا عليه منها وجدوه في ارض واسعة في « بيكرمي » على مسافة عشرين كيلومتراً من آثينا . وقد حملت احدى السفن الانكليزية من ثغر بيره اليوناني في اواخر الشهر الماضي اربعين صندوقاً مملوءة ببقايا الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان لوضعها في المتحف الانكليزي في لندن

وقبل الكلام على ارض بيكرمي التي تُستخرج تلك البقايا الحيوانية القديمة منها نشير الى كيفية ترتيب البقايا في الارض . فنقول ان في جوف الارض خمس طبقات مختلفة وكل طبقة منها تدل على ان حادثاً طبيعياً عظيماً قد حدث على سطح الارض فغطاها بشيء لم يكن لها ودفن تحت هذا الشيء الحيوانات التي كانت على وجهها . ومن الغريب ان النابشين لا يجدون تحت القشرة الاولى او الطبقة الاولى الا حيوانات صغيرة غير تامة الخلقة فكأنَّ الارض كانت يومئذ في بدء نشأتها . ولكن قد يكون في هذه القشرة اشجار محجرة هائلة الحجم . واما الطبقة الثانية ففيها كثير من انواع الاسماك والزحافات الكبيرة ولكن لا اثر فيها لذوات الثدي . واما الطبقة الثالثة ففيها ذوات الثدي كالفيل العظيم ووحيد القرن وغيرهما من الحيوانات المجترة و القارضة والطيور . واما الطبقة الرابعة ففيها الحيوانات العائشة في هذا العصر . وقد تمكن العالم كوفيه من ترتيب هذه الحيوانات بحسب نشأتها وقدميتها

اما ارض بيكرمي التي تقدم ذكرها فقد كانت من قبل لدير يوناني على سفح جبل بانتليكوس في طريق ماراتون . وأصل اكتشاف تلك الآثار الحيوانية فيها ان جندياً بافارياً كان يصطاد في تلك الارض في عام ١٨٣٨ فوجد فيها حفرة فيها كثير من بقايا الحيوان فحملها الى اثينا وعرضها على علمائها فتحققوا انها من الحيوانات القديمة . فجاء بعده الاستاذ روس من اساتذة كلية مونيخ وحفر في تلك الارض فوجد فيها كثيراً من الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان فعاد بهذه الغنيمة الى متحف مونيخ . فثار حينئذ ثائر علماء اوروبا واقبلوا على الحفر في تلك الارض . فوجد فيها المسيو كودري الفرنسوي في عام ١٨٦١ كثيراً من البقايا الحيوانية منها حيوان مسماه « فارة بيكرني » وفرس من الافراس التي كانت تعيش قبل الطوفان وهو يختلف عن افراس اليوم من حيث شكل حافره . وفي عام ١٨٨٢ حفر فيها الاستاذ درنر الالماني وفي عام ١٨٨٥ حفر فيها الاستاذ نوماير النمساوي . وفي الاعوام الاخيرة حفر فيها المستر ارتور و ود ناظر المتحف الانكليزي في لندن فوجد من البقايا الحيوانية ما ملأ به الاربعين صندوقاً التي تقدم ذكرها وفي جملتها كثير من رؤوس الخنازير الوحشية التي كانت تعيش قبل الطوفان واسنانها لا تزال مركبة في افكاكها واسنان الفيلة العظيمة التي كانت تعيش في ذلك العصر البعيد وفي جملتها سنٌ طولها متر واحد وهو اطول سن عُرف للفيل الى هذه الايام . وقد كان اكتشاف النابش الانكليزي اهم من جميع الاكتشافات التي تقدمته

على ان الحفر في هذه الارض لم ينقطع الى اليوم . فان عالماً ايطالياً يطلب الآن من صاحبها المسيو سكوتس الذي كان وزيرًا للشؤون الخارجية اليونانية في وزارة المسيو دلياني ان يسمح له بالحفر والحكومة الايطالية تعضده . ولا ريب ان المسيو سكوتس يجيبه الى ذلك كما اجاب الذين تقدموه

وقد استدل الباحثون من هذه لآثار على امر ذي بال . فانهم تحققوا ان البقايا الحيوانية المذكورة لا تشبه البقايا الحيوانية التي وجدت في ارض اوربا ولكنها تشبه كل الشبه البقايا التي وجدت في جزائر اليونان وفي ارض آسيا . ولذلك قالوا ان ارض اليونان كانت في الزمان القديم متصلة بآسيا ومنفصلة بالبحر عن اوربا خلافاً لما هي فيه في هذه الايام من انفصالها بالبحر عن آسيا واتصالها باوروبا

طريقة صيد الثعلب

للصيد شأن عظيم عند الناس فبعضهم يتخذه للارتزاق والتجارة وبعضهم للهو والتسلية . وهو انواع بعضه بالرصاص وبعضه بالكلاب . والحيوانات المصيدة انواع ايضاً اهمها شاة الجبل والخنزير والارنب والثعلب والذئب والاسد والفيل والطيور بعضها للانتفاع بلحمها وبعضها للانتفاع بريشها وجلودها . ومن النوع الثاني صيد الثعلب الذي كان له في انكلترا والقطر المصري في الشهر الماضي طنين ورنين بناء على ما قام من الخلاف بين بعض من ضباط الجيش الانكليزي في العاصمة وخفراء منزل المستر بلنت الايرلندي في المطرية . فان بضعة من الضباط خرجوا في ذات يوم لصيد الثعلب ومعهم كلاب استقدموها من انكلترا لهذا الغرض فلما وصلت الكلاب الى حديقة المستر بلنت في المطرية دخلت الحديقة لتطارد ثعلباً شاهدته فيها فلحقها الضباط . فخرج اليهم حينئذٍ خفراء الحديقة وحدث بين الفريقين نزاع شديد ادى الى ضرب واهانة . فحوكم الخفراء وحُكم عليهم بالسجن فاكبر المستر بلنت صرامة الحكم وكتب الى الجرائد الانكليزية بذلك وسأل اصدقاؤه في مجلس العموم الانكليزي الوزارة عما صنعه الضباط من دخولهم الى حديقته للصيد فيها . ولم تكن كل تلك الجلبة والضوضاء الا من اجل ثعلب

ولصيد الثعلب شأن عظيم في انكلترا وهو من اشهر ضروب الصيد هناك ويقصدون

بصيده امرين الاول ترويض الكلاب على الجرأة والعدو السريع والثاني الانتفاع بجلد هذا الحيوان . واما طريقة صيده فهذا بيانها .

يعدون لهذا الصيد كلاباً سريعة قادرة على اللحاق بالثعالب وخير الكلاب لذلك الكلاب الانكليزية . ومن مزايا هذه الكلاب انها تشم رائحة الثعلب من بعيد جداً فتحوم حوله قبل ان تراه حتى تكتشف مكانه . وذلك لان للثعلب رائحة مخصوصة به تعرفها تلك الكلاب . اما الثعلب فمتى رأى الكلاب اطلق ساقيه للريح فتجدُّ الكلاب في طلبه كانها نبال خرجت من القوس لشدة سرعتها وارتياحها الى الركض في الطريق التي يركض الثعلب فيها . ولكنَّ الثعلب لا يلبث بعد مدة ان يرى الكلاب قد صارت قريبة منه فيقال انه يتخلص منها حينئذ باسلوب بسيط جداً وهو ان يقف ويقضي حاجته فما يخرج البراز من جوفه وتنتشر رائحته حتى تعود الكلاب عنه لخبث رائحته وكراهة الكلاب اياها اشد كراهة . ولكن الويل له اذا وقف ولم يستطع قضاء حاجته فانه يؤخذ حينئذ غنيمة باردة . واحياناً يستطيع الفرار بعد هذا الوقوف والالتجاء الى وكره فيدخل فيه ويُبرز راسه مدافعاً به اشد دفاع فلا يكون للكلاب سبيل اليه . واحياناً يرمي بنفسه في الماء ويُخرج راسه على شاطىء النهر مدافعاً به فتعجز الكلاب عن اخذه حتى يدركه التعب والعياء . ولكن اذا ادركته الكلاب قبل ذلك فانها تحيط به من كل جانب وتهجم عليه فتخنقه . فياخذه الصياد حينئذ ويعلقه في غصن احدى الاشجار فتحوم تحته الكلاب التي صادته نابحة واثبة اليه حتي تصل اليها الكلاب التي تاخرت عنها فان رؤية الطريدة جثة جامدة امامها مما يجعلها جريئة قوية في صيد ثانٍ . على ان الصياد لا يدع الثعلب معلقاً امام الكلاب وقتاً طويلاً لئلا تالف رائحته كثيراً فلا تعود شديدة الشعور بها عند الصيد . وللصياد كلمة متى صاح بها في اثناء الصيد وثبت الكلاب وثباً شديداً الى المكان الذي يشير اليه الصياد باصبعه لانها علامة على وجود الثعلب . وهذه الكلمة هي « تايوت . تايوت » فكانَّ « تايوت » في قاموس الكلاب كلمة مرادفة للثعلب

عرابي باشا ومنفاه

آراء الناس في عرابي . خلاصة ترجمته . تاريخ جزيرة
سيلان منفاه

﴿ آراء الناس في عرابي ﴾ لعرابي باشا المنفي في جزيرة سيلان والذي سيعود في هذا الشهر الى القطر المصري صورتان ادبيتان متباينتان واحدة يرسمها اصدقاؤه وواحدة يرسمها اعداؤه

اما الصورة الاولى التي يرسمها اصدقاؤه فهذه خطوطها الكبرى — كان الفلاح المصري قبل قيام عرابي باشا في اسوأ حال والوظائف الكبرى كلها في ايدي الغرباء والرشوة القاعدة الاولى في الاحكام وكان جميع المصريين يحنون رؤوسهم تحت نير ذلك الحكم الجائر والاستبداد الذي لا مثيل له ولم يجسر احد منهم على رفع رأسه ومطالبة الهيئة الحاكمة بحقوق الهيئة المحكومة غير عرابي . فعرابي اذاً بطل من الابطال ككرومويل صاحب الاصلاح الانكليزي ولافاييت صاحب الاصلاح الفرنسوي وكوشوت صاحب الاصلاح النمساوي وواشنطون صاحب الاصلاح الاميركي . وقد كان قيامه حداً فاصلاً بين عالم الاستبداد الماضي وعالم العدل التالي

وهؤلاء الاصدقاء الذين يرسمون لعرابي هذه الصورة اكثرهم من رجال الانكليز وفي مقدمتهم محاميه الذي دافع عنه يوم محاكمته . واما الصورة الثانية التي يرسمها خصوم عرابي فهذه خطوطها الكبرى

يقولون . ان عرابي رجل جاهل حسود طماع . اما جهله فلانه حسب انه يكفي ان يثور الشعب المصري فينال الاصلاح المطلوب . فكانه نسي مصالح اوروبا في مصر وعلائقها بالباب العالي . واما حسده فلانه راى الجراكسة في الوظائف الكبرى فرام التعالي عليهم . واما طمعه فلانه كان يتطاول الى العرش الخديوي ليعيد في مصر حادثة محمد علي . وقد ادت سياسته هذه الى ثلاث مضار كبرى . الاولى قتل استقلال بلاده . والثانية الباس الجيش المصري لباس العار في وقعة التل الكبير التي فرّ فيها عرابي فرار الجبان بعد ما كان لهذا الجيش من الامجاد العسكرية في بلاد السودان وغيرها . والثالثة اخراج منافع البلاد ومرافقها من ايدي ابنائها الى ايدي الاجانب بازدياد العنصر الاجنبي فيها بعد الاحتلال . فعرابي



﴿ عرابي باشا ﴾

كان اذاً آفة لوطنه وخائناً لمليكه . وكانّ ناظم الابيات التالية قد ترجم عن عواطف هذا الفريق لما قال هذه القصيدة الرشيقة التي تنمّ على ناظمها كما ينم العطر على العطار ومطلعها

اهذا كل شانك يا عرابي	صغارٌ في الذهاب وفي الاياب
فمن يعفو عن الوطن المصاب	عفا عنك الاباعد والاداني
رفيع الذكر مقتبل الشباب	فعش في مصر موفور المعالي
وفي كلتيهما حُمر الثياب	افرق بين سيلان ومصر

ولكننا نرى انّ بين هذين الطرفين وَسَطاً للعاقل البصير . والتاريخ العادل المنزه عن الهوى اذا رام ترجمة عرابي لم يحسب له سيئةً قيامه الى طلب الاصلاح في زمن كانت فيه الحقوق مهضومة والظلم فاشياً فان ذلك نظام طبيعيّ اذا لم يظهر على يد عرابي ظهر على يد سواه وهو من نتائج الاختلال وسوء الحال . ولكن السيئة الكبرى التي يدونها له تاريخ مصر و يعتبرها خروجاً عن جادة السياسة الصحيحة والنظام الطبيعي الذي لا يتمّ شيءٌ بدونه هي قيامه على السلطة الخديوية واعتبار الخديوي امير البلاد وصاحبها عدوّاً له ولما فضلاً عن اثارته الضغائن الجنسية في النفوس اثارة افضت الى مذبحة الاسكندرية المشهورة . فلوكان عرابي اوفر علماً باسرار السياسة الدولية واكثر اطلاعاً على حوادث عصره ومجرى

زمانه ولو كانت نفسه مستعدة استعداداً حقيقياً لتكون زعيمة حزب عظيم وفيها ما يجب ان يكون فيها من السلطة لكبح جماح العامة حين جموحها كما كان فيها من المقدرة على اثارتها لرأى ما كان امامه من الصخور الهائلة . وهنا موضع الخلاف بين عرابي وخصومه فانه ما فتىء ينادي من جزيرة سيلان في كتب خصوصية وغير خصوصية انني لم اصنع ما صنعت الا خدمة لوطني واعلاء لشأنه . فيردّ عليه اولئك بقولهم ان قيامك على سيد البلاد قياماً اضطر دولة اجنبية للدفاع عن سلطته قد اضاع البلاد ومن فيها فاذا كانت نيتك حسنة فان سياستك كانت من اقبح السياسات

﴿ خلاصة ترجمته ﴾ ولا بدّ في هذا الفصل من الالمام بشيء من ترجمة عرابي تتمة للفائدة . فنقول انه احمد عرابي الحسيني ولد في عام ١٨٣٩ ولما بلغ السنة الرابعة عشرة دخل المدرسة العسكرية وخرج منها في ايام المرحوم سعيد باشا فانتظم في سلك الجيش ولكنه لم يلبث ان طُرد منه على ما يقال لسوء سلوكه بعد جلده عقاباً له ولعل ذلك لشدة عناده في شبابه . وبعد ذلك دخل الى الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج بجارية لاحد الباشوات ثم عاد الى الانتظام في سلك الجيش في ايام المرحوم اسماعيل باشا وشهد القتال بين مصر والحبشة برتبة قائممقام دون ان يمتاز بشيء في تلك المعركة . ولما عاد من السودان اخذ يسعى في تاليف جمعيات سرية لمقاومة الجراكسة الذين كانوا اصحاب الكلمة في الجيش فالقي عليه القبض في عام ١٨٨١ ولكن انصاره هجموا على السجن فكسروا ابوابه واطلقوه . فكبر الامر على وكيل انكلترا ورام خنق هذا المبداء قبل استفحاله فامتنع وكيل فرنسا من الاشتراك معه في ذلك في بدء الامر ظناً منه ان عرابي ورفاقه مخلصون في دعوتهم ومطالبهم (نقلاً عن المسيو بوردو) وبعد ذلك عظم الامر فوردت على حكومة مصر مذكرة من الدول تقضي بمنعها من انشاء مجلس نيابي فيها كما كان يطلب عرابي فلم يمتثل عرابي وكان قد مُنح رتبة باشا فانتخبه المجلس النيابي المذكور ناظراً للحربية بالرغم عن طلب انكلترا وفرنسا نفيه من القطر المصري . فعظم نفوذ عرابي يومئذٍ واخذ يقاوم السلطة الخديوية لانها كانت لا تجاريه على مراده فارسلت الدولة العلية في ٨ يونيو من عام ١٨٨٢ درويش باشا للتحقيق في المشكلة المصرية ثم اشتد الخلاف بين المرحوم توفيق باشا وعرابي فاعلن عرابي انزال الخديوي عن كرسيه فهال اوربا الامر ثم كانت مذبحة الاسكندرية في ١١ يونيو فضرب الاميرال السر بوشان سيمور قائد الاسطول الانكليزي الاسكندرية واحتلها تأييداً للسلطة الخديوية فلجأ عرابي بجنوده الى التل الكبير فسارت اليه الجنود الانكليزيه ففرّ من

وجهها عرابي وجنوده من غير حرب ولا قتال وهذا مما اسخط الناشئة المصرية اسخاطاً شديداً عليه وجعل احدها وهو الشاعر الذي تقدم ذكره يقول في تلك القصيدة

واذ ضربوا وسيفك لم يجرد ... واذ دخلوا ونعلك في الركاب
واذ مُلئت لك الدنيا نفاقاً ... وضاقت بالغباوة والتغابي
واذ تُقنى المعالي بالتمني ... واذ يُغزى الاعادي بالسباب
واذ تُعطى الاريكة في النوادي ... وتُعطى التاج في هزل الخطاب

وبعد ذلك دخلت الجنود الانكليزية الى القاهرة وعادت السلطة الى الخديوي توفيق وحوكم عرابي ورفاقه فحكم عليهم بالاعدام فاستبدل الخديوي هذا العقاب بالنفي الى جزيرة سيلان · فشيعه الناس يومئذ في مصر والشام باناشيد عامية كما يستقبلونه الآن بقصائد ومن تلك الاناشيد قولهم

يا ديني وانتَ ديني ... يا زهر البساتينِ
املي الكاسات واسقني ... بالسنه مرة

يا ديني كتاكوت ... يا ديني كتاكوت
عرابي باشا عما يموت ... كشحوه برا

وما زال عرابي باشا ورفاقه في جزيرة سيلان حتى صدر العفو عنهم في هذا العام من الجناب الخديوي المعظم مولانا عباس باشا الثاني فاخذوا يعودون الى وطنهم الذي غادروه في حال ويجدونه في حال

﴿ منفاه ﴾ اما «سيلان» التي كانت منفى عرابي ورفاقه فهي جزيرة انكليزية في جنوبي الهند عدد سكانها ثلاثة ملايين نفس وربع مليون وعاصمتها مدينة «كولومبو» · ولهذه الجزيرة تمدن قديم تدل عليه الآثار القديمة التي لا تزال فيها · وقد روى العالم الطبيعي الروماني بلين الكبير ان جزيرة «تابروبانه» (كما كانوا يسمون سيلان في تلك الايام) اوفدت اربعة سفراء الى الرومانيين للتقرب من حكومتهم · وقد ساح في سيلان السائح الصيني (فاهيين) في القرن الرابع للميلاد المسيحي وكتب تفاصيل رحلته وفيها من الاعجاب بفخامة بنيان مدينة (انورادار وبا) التي كانت عاصمتها واتساع عمرانها ما يدل على مبلغ حضارتها في ذلك الزمان · ويقال ان هذه المدينة كانت محاطة بسور عظيم يضم بين جدرانه مساحة ٢٥٠ الف ميل وقد تمَّ بناؤه في القرن الاول للميلاد · وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم

اما سكان هذه الجزيرة فهم خليط من الفداهيين والسنجاليين . والاولون قبائل متوحشة تعيش في الجبال والاحراش والآخرون متمدنون بعض الشيء . وكان فرسان العرب يشنون الغارة على سيلان قبل عام ١٥٠٥ ويعودون منها بالاسلاب والغنائم فبعد هذا التاريخ نزل البرتغاليون في الجزيرة وحالفوا ملوكها فكانوا اول مستعمريها . ثم قلب البرتغاليون ظهر المجن للسكان واستولوا على شواطىء الجزيرة كلها وفي عام ١٦٠٢ جاء الهولانديون واتحدوا مع السكان عليهم فغصبوهم الشواطىء وحلوا محلهم . وفي القرن الثامن عشر جاء الانكليز في نوبتهم وحلوا محل الهولانديين فطردوهم عن آخرهم في عام ١٧٩٥ وفي عام ١٨١٥ استقلوا بالجزيرة وخلعوا ملكها الذي كان وطنياً وكان يُدعى ملك قنديا نسبة الى احدى مدن الجزيرة

ولسيلان اليوم اهمية تجارية عظمى لانها طريق جميع السفن التي تسير الى الهند والشرق الاقصى ولذلك يُنتظر ان يكون ثغر كولومبو عاصمتها من اعظم ثغور العالم في المستقبل . ويقدرون عدد سكان هذه المدينة بمائة وستين الف نفس . وفي الجزيرة غير سكانها الاصليين والنزلاء الاوروبيين كثيرون من المغاربة والجافاويين والصينيين والهنود . وفيها مغاوص للحجارة الثمينة

الامُّ وابنتها

﴿ اخلاق الامبراطورة فردريكة ﴾

لم تكد تخمد جمرة الحزن على كبيرة ملكات العالم وملوكه الملكة والامبراطورة فيكتوريا حتى انقدت جمرة حزن اخرى على ابنتها الامبراطورة فردريكة والدة الامبراطور غليوم الثاني . وبما اننا اقفلنا باب « مشاهير المتقدمين والمتاخرين » في هذا الجزء دون ان نذكر فيه ترجمة سيدة مشهورة كما وعدنا في الجزء الماضي فاننا نعود في هذا الفصل الى ما فاتنا هناك لاطلاع القراء على لمع من اخلاق الامبراطورة فردريكة وما قاسته في حياتها من العناء ولا سيما مع البرنس بسمارك الذي كان خصماً شديداً لها ليعلم الناس ان المصائب والمتاعب لا تقتصر على اكواخ الفقراء بل انها تشمل قصور العظماء

ولقد تزوج البرنس فريدرك غليوم ولي عهد المانيا بالبرنسس فردريكة وهي في زهرة الشباب فكان المستقبل بساماً في وجهها . ولكنها ما نزلت في البلاط الالماني حتى علمت بما

ستقاسيه فيه من العناء . فان اهل البلاط كانوا ينظرون اليها نظرهم الى شخص غريب عنهم اذ لم يكن من الفة يومئذٍ بين الالمان والانكليز . وكان اشدهم وطأة عليها البرنس بسمارك فانه كان يراقبها اشد مراقبة لانها كانت زوجة ولي العهد ويخشى ان يكون لها تاثير سيء على زوجها . وكان يسميها « تلميذة غلادستون » او « الانكليزية » او « الاجنبية » ويجعل جرائده تحمل عليها حملات شديدة . ولذلك قالت فردريكة في ذات يوم قولاً يدل على مبلغ سخطها عليه . فانها كانت يوماً في قصر بوستدام فطلبت ماء فنهض البرنس بسمارك بنفسه وجاءها بكاس ماء على طبق . فالتفتت فردريكة الى احدى نسائها وقالت لها : ان هذا الرجل جعلني اذرف دموعاً بقدر ما في هذه الكاس من الماء . وكان ذلك في عام ١٨٦٧

ثم كانت حرب السبعين فبلغ بسمارك بعدها اوج العز والعظمة فازداد مراقبة للاميرة فردريكة لا سيما وان زوجها البرنس فردريك غليوم اصيب بداء السرطان في حنجرته . وقد كتب بوش صديق بسمارك في مذكرته عنه انه قال ما نصه « نحن سيئو البخت في مسالة الزواج . فانه اذا تزوجت اميراتنا بامراء اوربا وملوكها انحزن الى وطنهن الجديد كل الانحياز كالاميرة الالمانية التي اقترنت بملك بافاريا واعتنقت المذهب الكاثوليكي والاميرة الثانية التي اقترنت بالقيصر واعتنقت بالمذهب الارثوذكسي . اما الاميرات الاجنبيات اللواتي يتزوجن بامرائنا فانهن يبقين على الانحياز الى وطنهن القديم ويفضلن مصلحته على مصلحة المانيا نفسها . مثال ذلك هذه الانكليزية » يعني البرنسس فردريكة

وفي اثناء ذلك كانت البرنسس منصرفة الى العناية بزوجها المصاب . فكانت تسهر على فراشه ليلاً ونهاراً بنشاط يدل على حبها له ومعرفتها واجباتها . وكان الامبراطور غليوم الاول قد شاخ والالمانيون يتوقعون وفاته من عام الى عام ولذلك كان الاهتمام بمرض ولي العهد البرنس فردريك غليوم عظيماً جداً . وكان على فراشه فريقان من الاطباء فريق انكليزي وفريق الماني فكان الدكتور الانكليزي يتهم الالماني بالجهل والالماني يتهم الانكليزي بالمضاربة بالبورصة على حياة وارث الملك . ولما اتفقوا على اجراء عملية جراحية لولي العهد اختلفوا على الانبوبة التي تُتخذ للعملية فالالمان طلبوا ان تكون المانية والانكليز طلبوا ان تكون انكليزية ورغبة في التوفيق بين الفريقين تقرر جعل الانبوبة اميركية بناء على طلب الدكتور توماس ايفان الاميركي

اما البرنس بسمارك فانه كان يقول في ذلك الوقت لبوش صديقه « ان مرضه السرطان



ولا نجاة من هذا المرض » فكانه كان مسروراً بذلك ليخلو له الجو في الامبراطورية . واما البرنس فردريك غليوم فانه ما كان يطمع في النجاة ولكنه كان يطمع في الوصول الى العرش ولو يوماً واحداً لمكافاة الاميرة فردريكة زوجته . ففي ٨ مارس من عام ١٨٨٨ ورد الخبر بوفاة الامبراطور غليوم . وكان الامير قد تعافى قليلاً بعد العملية الجراحية . فاجتمعت حاشيته كلها في قاعة القصر وفي جملتها الاميرة فردريكة والامير فردريك زوجها الذي صار امبراطوراً خلفاً لابيه . فاخذت الاميرة فردريكة تبكي . وكان بكاؤها لسببين الاول حزنها على وفاة الامبراطور غليوم الاول والثاني ذكرها الاهانات التي لحقت بها من البرنس بسمارك قبل وصولها الى العرش الامبراطوري . وكان الجميع مطرقين في تلك الساعة ينتظرون كلام « الامبراطور الجديد » واذا به قد نهض الى المائدة ووقع بيده على المنشور الامبراطوري المؤذن بارتقائه الى العرش . ثم دنا من فردريكة وفي يده حمائل وسام النسر الاسود فطوق عنقها به بهيئة جدية . فانطرحت فردريكة بين ذراعيه وصارت تبكي . فالتفت حينئذ « فردريك الثالث » الى اطبائه وقال لهم . اشكركم لانكم جعلتموني احيا الى وقت استطيع فيه مكافأتها على اخلاصها وحبها

غير ان الامبراطور فردريك كان لا يزال مريضاً بدائه . وكان نجله وولي عهده البرنس غليوم (الامبراطور غليوم الحالي) من مريدي بسمارك والمعجبين به في ذلك الزمان ففي يوم عيد البرنس بسمارك شرب الامير غليوم نخبه بهذه العبارة « ان الامبراطورية الالمانية تشبه اليوم سفينة ربانها جريح ملقى امام الدفة . ففي وسط حزننا الحاضر يجب ان نوجه انظارنا الى حامل رايتنا وعمدة سياستنا اعني مستشار الامبراطورية العظيم . امد الله في عمره »

فكان البرنس غليوم كان مع البرنس بسمارك على والدته . وليس ذلك بغريب فقد روي عنه انه قال منذ سنوات « من لي بمن ينتزع هذا الدم الانكليزي من عروقي » ولعل ذلك لا يخلو من مبالغة

ومن اقوال البرنس بسمارك في الامبراطورة فردريكة « ان هذه المراة تقلق افكار زوجها بكثرة كلامها . فانها لا تفتأ تنصحه وتعظه وهو ضعيف عن مقاومتها . ولو لم اكن انا ساهراً على راحته ومستعداً كل حين للدفاع عنه لكان خطبه كبيراً » وقد روى هذا الكلام بوش المذكور آنفاً . ومما رواه ايضاً عن لسان البرنس بسمارك قوله « انني اخشى من سلطة هذه المراة على رجلها وشدة طاعته لها » قال شارح هذا القول فكان بسمارك كان



﴿ الامبراطورة فردريكة ﴾

ام امبراطور المانيا واخت ملك انكلترا

يكره كل شيء للامبراطورة حتى اتفاقها مع زوجها

ولكن لم يتسنَّ لهذه الامبراطورة المسكينة ان تنال المنزلة التي كانت تطمح لها في امبراطوريتها والتي كان يخشى بسمارك من وصولها اليها لانَّ زوجها الامبراطور فردريك الثالث توفي بالسرطان بعد انقضاء اربعة عشر اسبوعاً على ملكه فدخلت زوجته الامبراطورة

في زاوية النسيان . ولم تستطع الانتقام من بسمارك الا مرة في حياتها . ذلك انه لما قام النزاع الشديد بين الامبراطور غليوم الحالي والبرنس بسمارك واعيت البرنس الحيل في اقناع الامبراطور بالعدول عن سياسته راى ان يتخذ لذلك آخر حيلة في يده . فقصد الامبراطورة فردريكة وسالها التوسط بينه و بين ابنها . فرفعت راسها بعظمة واجابته — انك قاومتني في حياتي ووضعت من الحواجز بيني و بين ابني ما يجعلني الآن بلا سلطة عليه فاذا كنت عاجزة عن افادتك الآن فالذنب لك لا لي . فانحنى بسمارك وخرج صامتاً . وفي اليوم التالي اعلن استقالته

والظاهر ان داء السرطان الذي قتل زوجها قد سرى اليها ايضاً فماتت به في اوائل الشهر الماضي بعد مرض طويل اختتم حياتها بالعذاب كما مرّت بالعذاب . ولذلك تمنى اخوها جلالة الملك ادوار السابع امام اعضاء مؤتمر السل حين مقابلتهم اياه ان يكتشف احد العلماء دواء للسرطان فيخلد اسمه بهذا الاكتشاف

نشر صفحات مطوية

بلاد مصر

﴿ وكيف كان يصفها كتاب العرب ﴾

« ذكرت مصر في القرآن العزيز في اكثر من ثلاثين موضعاً كما قاله السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة و بعضها بطريق الكناية وقد ورد في مصر عدة اخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر ولم يارسول الله قال لانهم وازواجهم في رباط الى يوم القيامة

واما حديث ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فانه يُساق اليها اقل

الناس اعمارًا فهو حديث منكر جدًا وقد اورده ابن الجوزي في الموضوعات

ومن الآثار الموثوقة في فضل مصر ما اخرجه ابن عبد الحكم عن عبدالله بن عمرو قال قبطُ مصر اكرم الاعاجم كلها واسمحهم يدًا وافضلهم عنصرًا واقربهم رحمًا بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن اراد ان ينظر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض مصر حين تخضر زروعها او تنمو اثمارها. واخرج ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي الصحابي رضي الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورًا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف شاؤًا ويرسلونه كيف شاؤًا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون. ولم يكن في الارض يومئذٍ ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى آخره من الجانبين جميعًا ما بين اصوان الى رشيد سبعة خلج . خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اصوان بلا زاد في ظل واشجار وفواكه الى ان يصل الى مدينة اصوان

وعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبالها وانهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من الملوك فلما رأى مصر رأى ارضًا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلاً من جبالها مكسوًا انوارًا لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في سفحه اشجار مثمرة فروعها في الجنة تُسقى بالرحمة فدعا آدم في النيل بالبركة ودعا في ارض مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات

وعن عبدالله بن سلام قال مصر ام البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من اهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نيلها في كل عام مرتين عند جريانه يوحي اليه ان الله يامرك ان تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانيًا ان الله يامرك ان تغيض حميدًا فيغيض . وان بلد مصر بلد معافاة واهلها اهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء. ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعامًا وشرابًا .

وعن كعب قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من ارادها بسوء قصمه الله . وعن عقبةُ بن مسلم ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم النعم اما

اسكنتكم مصر فكنتم تشبعون من خيرها وتروون من مائها · وقال ابو الربيع السائح نعم البلد مصر يُحج منها بدينارين ويُغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى الاسكندرية وسائر سواحل مصر

وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر واقام بها قال اللهم اني غريب فحببها الى كل غريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا احب المقام بها ·

وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة منهم افلاطون و بطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس وكان في الازمنة الاول يذهب الى مصر ارباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة من الانبياء وهم موسى واخوه هرون ويوشع بن نون

ودخل اليها عيسى وتوجه الى الصعيد ثم اقام بقرية هناك تسمى اهناش ودخلها ايضاً ابرهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وارميا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام· ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من اهلها مؤمن آل فرعون الذي اثنى عليه الله في كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا في ساعة واحدة مع كثرتهم ·

وقال المسعودي ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على انفرادها· وقال القضاعي لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر فانها لو زُرعت جميعاً لوفت بخراج الدنيا باسرها ويوجد في مصر في كل شهر نوع من الماكول او المشموم فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورميس اي خروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل ابيب وعنب مسرى · والسبع زهرات التي تجتمع في اواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي النرجس والبنفسج والورد النصيبي والمجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين

وان اهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات وفي اخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلة قبل ان تقع · ويقال مصر باقوالها · ذُكر ذلك في جواهر البحور »

(لعبد الله بن حجازي الشرقاوي)

باب تدبير الصحة

صدقت النساء المقربطات

واخطأت الضاحكات

تُطلق في اللغة العامية كلمة « المقربطات » في مصر والشام على فريق من النساء مصابات بسرساب النظافة والغسل . فاذا قيل « امرأة مقربطة » حضرت في الذهن صورة امرأة لا همَّ لها غير النظافة في البيت . فهي تحف بلاط الدار وارض المنازل بالرمل وتغسلها بالصابون اكثر من مرة في الاسبوع . ولا تسمح لاحد ان يدوس فيها بحذائه واذا اتفق وداس فيها زائر عزيز تستحي من تعنيفه وردعه انتظرته حتى يخرج من بيتها فتحمل الصابون وتاخذ بغسل آثار اقدامه في البلاط والبيت . وقد تبالغ احياناً في هذا التنظيف فاذا زارتها احدى رفيقاتها وسلمت عليها غسلت بعد ذلك فمها ويديها بالصابون وغسلت المكان الذي جلست فيه زائرتها . واذا مس ثوبها في السوق ثوب شحاذ او غيره هرعت الى البيت وغسلت الجانب الممسوس بالصابون . وفضلاً عن ذلك فان لها في المنزل غرفة خاصة بها وهي تكاد تكون حرماً على الجميع حتى على اولاد المنزل وخدمه ولا يدخلها احد قبل ان يغير ملابسه ويُغسل بالماء والصابون . وذلك على طريقة براهمة الهنود غير ان هؤلاء يغسلون الذي يرومون تطهيره ببول البقر وبئس هذا التطهير

اما رفيقات هذه المراة فانهن يضحكن منها ويستهزئن بها في خلواتهنَّ . ورغبة في اظهار « خرفها » تقول احداهن انَّ زوجي يدخل لابساً حذاءه حتى سرير النوم . وتلك تقول ان اخي لا ينزع حذاءه من قدميه طول النهار بل يروح به ويغدو على فرش البيت واثاثه . وبعضهن لا يكتفين بهذا الانتقاد بل يعمدن الى الممازحة والمداعبة . فقد سُمع ان احداهنَّ بعثتْ من يرمي في السر في بلاط دار احدى اولئك المقربطات جرذاً ميتاً فلما ابصرت صاحبة الدار الجرذ على البلاط اغمي عليها في الحال

فمن المصيب من هذين الفريقين . المقربطات ام الضاحكات

لا ريب في انَّ كثيرين من الضاحكات يستغربن جداً ما سنقوله في هذه النبذة .

فان العلم قد اثبت ان الحق في ذلك في جانب المقرَبطات وان النساء مهما بالغن في اجتناب الاقذار ودفع ما ياتي من السوق والشوارع فانهن يبقين مقصرات

ان كل مريض من المرضى بالمدينة . كل مصاب بالسل والجذام والتتانوس والسرطان والطاعون (في اوقات الطاعون) والجدري (في اوقات الجدري) وغير ذلك من الامراض — كل مصاب بها يمشي في السوق والشوارع ويعاشر الاصحاء ويبصق في الطرق . وهذا البصاق يجف مع تراب السوق ثم يتطاير معه عند اقل نسمة ريح فيقع على المارين ويلصق باحذيتهم واطراف بنطلونات الرجال وذيول فساطين الرجال . فمتى عاد هؤلاء الى المنازل عادوا وهم يحملون اقبح الهدايا معهم . فاذا « صوبنت » المراة « المقرَبطة » آثار اقدام زائرها او زائرتها فربما تكون قد ازالت بذلك من موقع القدم جراثيم عدة امراض . وفضلاً عن ذلك ان الاطباء فحصوا المركبات العمومية في اكثر الممالك ومركبات الترامواي والاومنيبوس ومراقد السفن البخارية والقطارات فوجدوا فيها كلها جراثيم الحمى والسل والسرطان وغيرها . وقد بحث اطباء الجزائر من عهد قريب في النظافة في الكنائس والجوامع فيها فوجدوا في ارضها كثيراً من جراثيم الادواء ولا سيا في الكنائس لان النظافة في الجوامع الجزائرية كانت اشد من النظافة في كنائسها . وفحصت بعض الايقونات فوجد عليها كثير من الميكروبات التي تنتقل الى الانسان عند تقبيله اياها . وقد يكون الانسان ماراً في طريقه فلا يشعر الا والبسط والفرش تُنفض من النوافذ فوق راسه والله اعلم بما فيها من ميكروبات الامراض التي تمتزج بالهواء ثم ترسب على الارض وما فوقها من الحوانيت والمخازن . فلا شيء اقبح من هذه العادة عادة نفض الاشياء من نوافذ المنازل كما انه لا شيء اقبح من عادة اصحاب الحوانيت والمخازن الذين يبسطون بضائعهم وفاكهتهم امام حوانيتهم تحت تلك المنازل التي ترسل عليهم كل حين صواعق الميكروبات . وما كان اعظم فضل المجالس البلدية لو كانت تقضي بان لا تُبسط تلك الاشياء الا ضمن بيوت زجاجية . والانكى من ذلك كله انك تكون سائراً في شارع شريف باشا مثلاً مطمئن البال فلا تشعر الا واحد الساقة (العربجية) قد تناول من مركبته البساط الذي يُوضع في المركبة تحت اقدام الركاب واخذ ينفضه في عرض الشارع فينعقد منه غبار كثيف حامل اكثر انواع الميكروبات القاتلة كما يحمل الغيم الكثيف الصواعق المهلكة . فهل يجوز لك بعد ذلك ان تلوم النساء المقرَبطات على محاربتهن تلك الآفات بالماء والصابون ولكن يالاسف ان منازل « المقربطات » نفسها قد تكون اعشاشاً لميكروبات الامراض

التي ترتع في الرطوبة و يلذ لها التكاثر فيها · فالماء والصابون لا يُجديان اذًا نفعًا عظيمًا ولا كل انواع المطهرات لان الجراثيم فاشية في كل مكان في السوق والشوارع والقهاوي والحانات والفنادق والتياترات والكنائس والجوامع والمركبات وفي كل الاماكن العمومية اذ لا سبيل الى منع المرضى بالامراض المختلفة من الذهاب الى الاماكن التي تقدم ذكرها لانها عمومية · ولا يبعد ان ياتي يوم تنشأ فيه الهيئة الاجتماعية مستشفيات مجانية الزاميـة لعزل المرضى فيها ومعالجتهم باحسن مما يعالجون به انفسهم استئصالاً لجراثيم الادواء التي يشتد فتكها في الناس و يعمهم بلاؤها · ولكن قبل ان تُنشأ هذه المستشفيات لا سبيل لحفظ الاجسام من تلك الجراثيم العامة الطامة الا بطرق دفاعية · ورأس هذه الطرق الدفاعية (١) حسن التغذية وهو امر في غاية الاهمية (٢) اطلاق الشمس والهواء في المنازل والخروج لاستنشاق الهواء النقي في الخلاء ساعة او ساعتين في النهار مع الرياضة الجسدية (٣) عدم التعرض لمنهكات الاجسام ومضعفاتها كالسهر الطويل وعلى الخصوص اذا كان يخالطه اللعب بالورق والمسكر (٤) النظافة التامة وتخصيص غرفة لنفض الثياب فيها والامتناع من الدخول الى غرف المنزل بالحذاء الذي تدوس به في كل مكان خارجًا

فاذا حفظتَ هذه الوصايا حفظًا تامًا كنتَ اكثر مقدرة من «المقرَبطات» على مقاومة جراثيم الادواء بل كنت قادرًا على اقتحام تلك الجراثيم ومخالطة المرضى دون ان تخشى شرًا لان جسمك يقوى بتلك المعيشة قوة تجعل الجراثيم عاجزة عن التاثير فيه · وهذا خير دواء عند الاطباء

الدكتور كوخ والسل

وشجاعة طبيب فرنسوي

لخصنا في الجزء الماضي شيئًا من اعمال مؤتمر السل الذي عقد في لندن ووعدنا بالعودة اليه خصوصًا الى ما ذكره الدكتور كوخ الالماني المشهور بان السل الذي يصيب البقر لا يعدي الانسان · وكان الاطباء ولا يزالون يعتقدون بان السل البقري معدٍ ولذلك يراقبون البقر المصابة مراقبة شديدة و يوصون باغلاء كل لبن قبل شربه · اما الادلة التي استند اليها الدكتور كوخ فهي تجارب اجراها في بعض العجول في المانيا · فانه جاء بميكروب السل البشري وحقن به العجول فلم يظهر السل فيها بل بقيت في صحة تامة فجاء بميكروب سل

البقر وحقن العجول به فلم تمضِ عليها ايام حتى ظهر بها السل البقري وتوفي بعضها . فاستنتج من ذلك ان سل البقر غير سل البشر وان الاول لا يؤثر في الثاني كما ان الثاني لا يؤثر في الاول . ومما دعم به هذا الراي ان السل البقري اذا كان ينتقل الى الانسان وجب ان يكون ظهوره في الامعاء . وقد فحص هو وغيره من العلماء كثيرين من المصابين بالسل فكانت نسبة المصابين في امعائهم الى المصابين في صدورهم قليلة جدًا مع ان ميكروبات السل البقري كثيرة الوجود في اللبن والزبدة

وقد ذكرنا فيما مرَّ ان الاطباء في كل البلاد دهشوا واي دهشة من كلام الدكتور كوخ . وقد ردَّ عليه بعضهم ضمنًا في الخطب التي القيت في المؤتمر فاثبتوا ان وفيات السل في انكلترا قد نقصت في الاعوام الاخيرة ٤٠ في المائة لاهتمام حكومتها بجعل المساكن نظيفة كثيرة الهواء ولكن وفيات الاطفال زادت ٢٠ في المائة وسبب هذه الزيادة عدم اهتمام الحكومة الانكليزية بمراقبة البقر المسلولة فكثرت وفياة الاطفال الانكليز بدائها الذي كان يصيبها بالامعاء عند شربها لبنها

ولا يخفى ان هذه الحجة حجة مقنعة اذا ثبت ان زيادة المسلولين من الاطفال في انكلترا ناشئة عن تدرن امعائهم من تاثير لبن البقر المسلولة . ولكن الدكتور كوخ لم تقنعه هذه الحجة فبقي ثابتًا على رايه فتصدى له حينئذ الدكتور كارنول احد الاطباء الباريزيين المعروفين وكتب اليه الكتاب التالي

« ايها المعلم المحترم

« اتيت طائعًا مختارًا اقدم لك نفسي لتجرب فيَّ تجربة بان تحقني بميكروب السل البقري لنرى اذا كان هذا السل ينتقل من الحيوان الى الانسان ام لا . وانا اعتقد انك مخطئ في الراي الذي رايته ومتحقق انني ساصاب بالسل من تجربتك . ولكني قلما اتاسف لذلك اذ ليس لي ولد وانا الآن في الواحدة والاربعين من عمري وثقلي مائة كيلو وطولي متر و ٨١ سنتيمترًا وصحتي جيدة جدًا وان كنتَ في ريب من ذلك فامتحني بمادة التوبركولين (وهي مادة يُعرف بها اذا كان الرجل مسلولاً او لا)

« وان الناس في المعارك الحربية يقدمون انفسهم الوفًا الوفًا لموت محقق . فانا وان كنتُ معتقدًا بانني ساصاب بالسل من تجربتك ارى ان الانسان في ساحة العراك في الحياة الاجتماعية يستطيع ان يصنع صنع اولئك . فانا الآن تحت طلبك سواء في باريز او برلين ولك الخيار في الشروط التي ترومها)

ولما نشر كتاب هذا الدكتور فرصه زملاؤه بلواذع التهكم وقال الدكتور برواردل المشهور في حديث له ان لا فائدة من هذه التجربة لان الدكتور كارنول قد يكون ذا بنية قادرة على مقاومة ميكروب السل فلا يصاب به وان كان السل البقري يعدي الانسان وفضلاً عن ذلك فان التجربة في الانسان امر غير جائز شرعاً

وقد مضت على الدكتور كارنول خمسة ايام بعد ارساله هذا الكتاب الى الدكتور كوخ دون ان يرده جواب منه فاستنتج من ذلك ان الدكتور كوخ لا يريد ان يجرب ذلك فيه فقال انه يجربها هو نفسه بنفسه فقال له الدكتور نيكار صاحب الشان فيما يختص بمزدرعات ميكروبات المواشي انني لا اعطيك شيئاً من الميكروبات البقرية للتجربة . فقال الدكتور كارنول انه يسافر اذاً الى لندن واذا لم يقبلوه في لندن ايضاً سافر الى اميركا حيث يحترمون الحرية الشخصية اشد احترام فيتركونه يصنع بنفسه ما يشاء . ثم قال لمحدثيه انني لا اعدل عن هذه التجربة مطلقاً الا متى اعترف الدكتور كوخ بخطاءه فقيل له وهل انت تحدث الآن مشكلة المانية فرنسوية بين اطباء برلين وباريز فقال كلا وانما اريد ان ابرهن على خطاء كوخ وان اصبتُ بالسل فانني قادر على الشفاء منه بعد ذلك بما لدى العلم والطب من الوسائل . ومن العجب ان يمنعوني عن تقديم نفسي للموت افادة للعلم حالة كونهم يجندون في كل عام مئات الوف من الناس ويسوقونهم للموت من غير رضاهم واختيارهم.

ولما ابطأ الدكتور كوخ في الجواب ركب الدكتور كارنول القطار وسافر الى برلين لمقابلة كوخ قال الدكتور كارنول فلما تقابلنا اضطربنا كلانا لان الدكتور كوخ يريد ان نتكلم بالالمانية وانا اريد ان نتكلم بالفرنسوية فعدنا واتفقنا على الكلام بالانكليزية . فقال لي انه لا يستطيع ان يجوب فيَّ التجربة التي ارومها وفضلاً عن ذلك فانه لم يقل بان الحقن بميكروبات سلّ البقر لا ينقل السلّ البقري الى الانسان ولكنه قال ان شرب لبن البقر الموبوءة بالسل لا ينقل ميكروبها اليه لان ميكروبات السل تكون ضعيفة في اللبن . فعاد الدكتور كارنول من برلين وفي نيته هذا الامر : ان يقيم في مكان يأخذ اليه بقراً مصابة بالسل ويشرب من لبنها سنة كاملة بلا انقطاع ويجتهد في تكثير ميكروبات السل في اللبن الذي يشربه . فاذا مرَّ العام ولم يُصب بالسل كان كوخ صادقاً واذا اصيب به كان كوخ مخطئاً

وسنواصل القراء بما يجدُّ في هذه التجربة الغريبة التي تدل على ان للعلم ابطالاً كما ان للحروب ابطالاً . والفرق بين الفريقين ان ابطال العلم يضحون حياتهم في سبيله وابطال

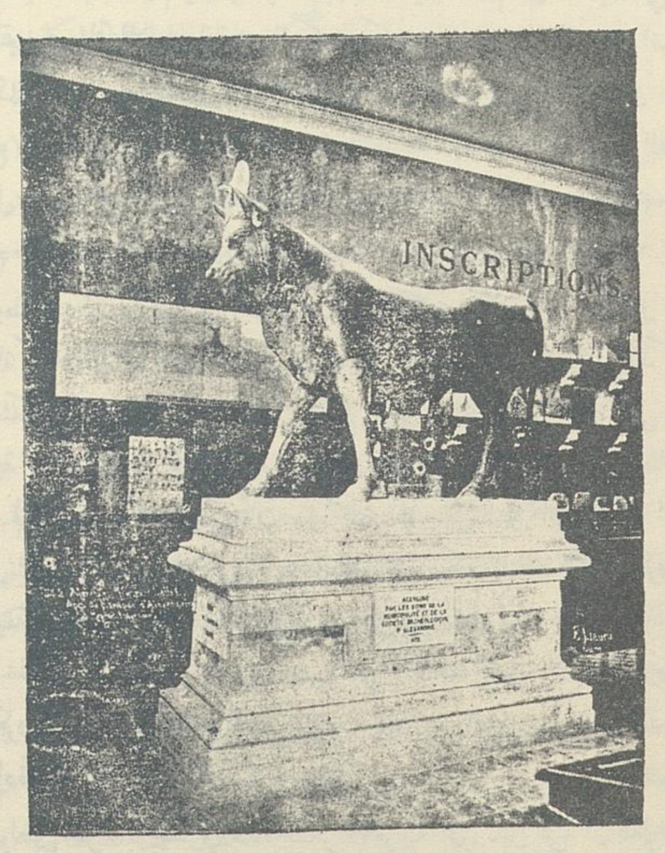
الحروب يضحون حياة غيرهم وشتان بين الاثنين

و بعد كتابة ما تقدم نقلت الشركات البرقية ان الحكومة الانكليزية عينت لجنة للبحث في مسالة انتقال السل البقري من الحيوان الى الانسان والقطع فيها

آثار الشرق القديمة

العجل ابيس

﴿ الذي كان يعبده المصريون ﴾



ذُكر العجل الذي كان يعبده المصريون في كتب اليهود والمسلمين والمسيحيين . فقد

جاء في القرآن « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » وجاء ايضاً « ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين » وورد في التوراة بشان عبادة العجل ما خلاصته

« صعد موسى الى جبل سيناء ليتلقى اوامر الرب في شعبه فاستبطأه الشعب وكانه قطع الامل من عودته فاجتمع على هرون وقال له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فامرهم هرون فنزعوا كل اقراط الذهب التي في آذان نسائهم و بنيهم و بناتهم وصنع منها عجلاً مسبوكاً و بنى مذبحاً امامه ونادى غداً عيد للرب . فاجتمع الشعب وقال هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر . وفي الغد قدموا ذبائح سلامة للاله الجديد وجلسوا يا كلون و يشربون ثم قاموا يلعبون

و بعد مدة نزل موسى من الجبل ومعه يشوع فقال يشوع حين سمع صوت الشعب انني اسمع صوت قتال في المحلة فقال موسى بل ذلك صوت غناء . ثم اقتربا من المحلة فابصر موسى العجل فاستشاط غضباً فاخذ العجل واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل . ثم وقف في باب المحلة وقال : من للرب فاليّ فاجتمع اليه جميع بني لاوي . فقال لهم « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى فوقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلثة الاف رجل . وقال موسى املأوا ايديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه و باخيه فيعطيكم اليوم بركة »

فمن ذلك تتضح شدة استنكار بني اسرائيل يومئذ عبادة الاوثان على ما ورد عنهم في كلام رنان في صدر هذا الجزء كما يتضح منه ايضاً تهافت العامة في كل مكان على المعبودات المحسوسة لعدم صبرها على المعبودات التي لا تراها الا بالفكر والتأمل . ولو لم يخلص بنو اسرائيل من تلك العبادة الشائنة لاختنق تمدنهم في مهده ولم يكونوا شيئاً مما كانوه بعدئذ . والظاهر انه حدث شقاق عظيم بين الشعب بشان هذه العبادة فبعض كان يطلبها و بعض

كان يكرهها فافضى ذلك الى تلك المذبحة الدموية الهائلة · ومما لا ريب فيه على ما جاء في كلام رنان ان شيوخهم كانوا في جانب المقاومين للديانة الجديدة

وغني عن البيان ان بني اسرائيل اقتبسوا عبادة العجل من المصريين يوم كانوا في اسرهم · وكانت عبادة العجل شائعة في مصر اشدّ شيوع · وكانت نوعين نوعاً في منفيس وكان عجلها يدعى (ابيس) ونوعاً في هليوبوليس وكان عجلها يدعى منيفيس · وكان المصريون يرمزون بالعجل الى الشمس فكانوا يعبدونها بعبادته و يكرمونها لما لها من المقدرة على الخلق من نفسها وتوزيع القوة والحياة في العالم · وكانوا يتخذون العجل تارةً عجلاً كاملاً وطوراً عجلاً براس انسان ويسمون كل عجل يعبدونه (ابيس او هابي) فليس اذاً اسم ابيس خاصاً بعجل واحد ولا يجب ان يقال العجل ابيس لان كلمة ابيس تُطلق كما تقدم على العجل ذي الراس الحيواني والعجل ذي الراس الانساني معاً ·

وقد كان المصريون في اثناء عبادتهم للعجل يكرمون العجول اشد اكرام فكانوا يحافظون عليها و يصونونها ومتى ماتت دفنوها باحتفال عظيم · وقد كانوا في بدء هذه العبادة يعرضون العجل في الهيكل على جميع الانظار ولكن لما رسخت قدمهم في المدنية واراد ملوكهم اظهار ابهتهم وعظمتهم اخذوا في توسيع الهياكل و زيادتها فخصصوا منها مكاناً داخلياً لاقامة العجل مبالغة في احترامه وجعلوا فيه طرقاً سرية لاخراجه منها لقضاء حوائجه ·· لئلا يرى الشعب اقذاره فيضعف احترامه في نفوسهم · وقد اكتشف ماريت باشا في عام ١٨٥١ قبراً فخيماً قرب منفيس كان مدفناً للعجول المقدسة وجيء باحد تلك العجول الى المتحف الاسكندري في الثغر ولا يزال فيه الى اليوم · وقد وضعنا رسمه في هذا الفصل زيادة في الفائدة

البناء عند العرب

جامع عمرو في العاصمة الذي بنيت باقي الجوامع على منواله · جامع قائد بك
الفخر الابنية العربية · مدافن السلاطين في العاصمة

كان للعرب في البناء شان عظيم ولا يزال الافرنج يفتقدون ابنيتهم الى اليوم ليقتبسوا منها ما رسمته المخيلات العربية · واول ابنيتهم الفخيمة الجامع الاقصى في بيت المقدس ثم جامع عمرو في القاهرة بناه عمرو بن العاص في سنة ٢٠ للهجرة بعد فتح مصر فكان آية في فخامة البنيان واحكام الصناعة وحسن الهندام

وقد بناه عمرو فوق اعمدة قديمة رومانية و بيزانتية وجعل مساحة ارضه ١٢٠ متراً



﴿ جامع عمرو في القاهرة ﴾

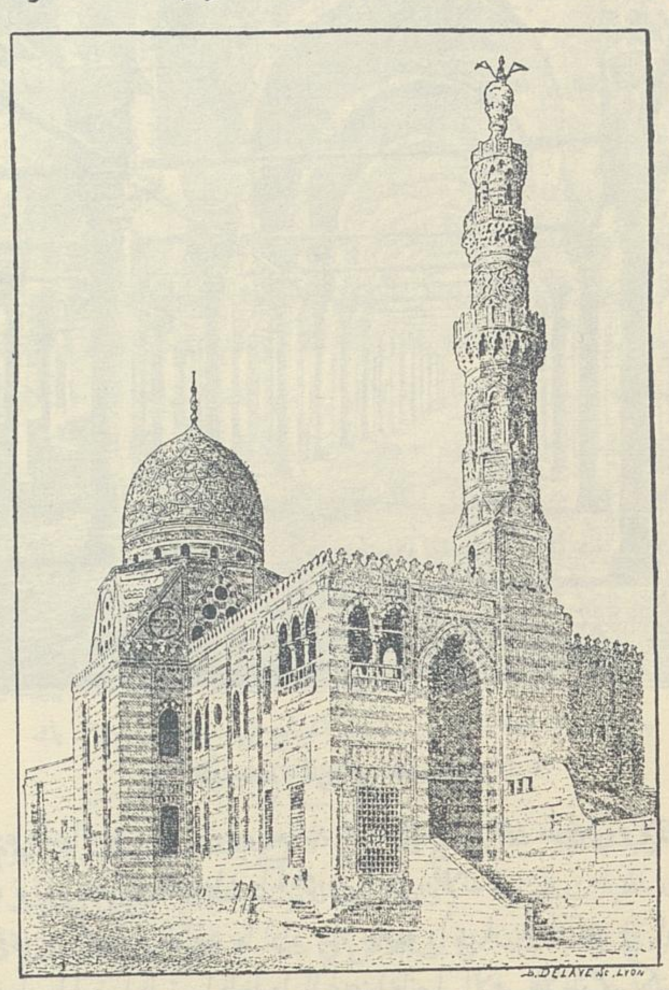
مربعاً · وعلى منواله بنى البنائون جوامع المدينة ومكة وجامع ابن طولون والازهر وجامع زيتونه في تونس وجوامع القيروان والجزائر ومراكش والاندلس·

ويروى ان عمرو بن العاص لما اراد بناء جامعه رأى ان البناء يمر في ارض ارملة يهودية فساومها ارضها فلم تبعها فاخذها بالرغم عنها فاتصل الامر بالامام عمر فكتب اليه ان بعدل ولا يسير الا في الطريق المستقيم فاذعن عمرو وبعث في طلب الارملة اليهودية

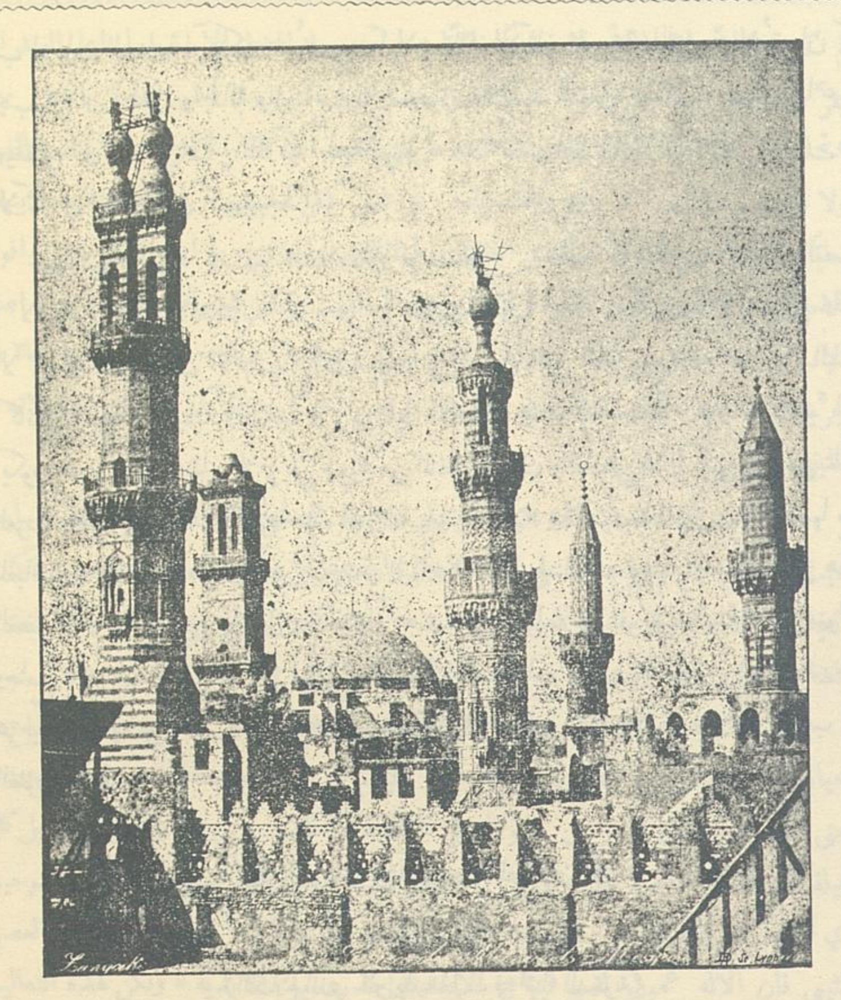
واسترضاها

ومن انفس تلك الابنية منائرها . واول من بنى المنائر هو الوليد مرمم جامع بيت المقدس ولا نصف هذه المنائر للقراء لانهم يعرفون شكلها اما الافرنج فانهم يعتنون بفحصها اعتناء خاصاً وكلما وقفوا بازاء واحدة من المنائر القديمة الفخيمة اظهروا دهشتهم من ذلك البنيان البديع

ولقد زار الكاتب جبرييل شارم سوريا ومصر منذ سنوات فاول ما وصل الى القاهرة كان سؤاله عن مدافن السلاطين حيث البناء العربي متناهٍ في الفخامة والظرف فدلوه عليها



﴿ جامع قائد بك في القاهرة ﴾



﴿ منائر الجامع الازهر في القاهرة ﴾

فزارها مدنناً مدفناً وجامعاً جامعاً ووصفها وصفاً رائعاً . فانه رسم بقلمه انعكاس اشعة الشمس على زجاج منائرها الشاهقة التي تنطح السحاب وقابل بينها وبين الاهرام التي هي مدافن سلاطين المصريين القدماء ايضاً (الفراعنة) فقال ان الفريقين اختارا الخلاء للنوم فيه نوماً ابدياً بعيدين عن ضوضاء المدينة . وقد لاحظ ان اولاد حراس المدافن كثيرون في تلك الجهات كأنَّ الحراس لا همَّ لهم ولا شغل غير «صنع» الاولاد . ثم وصف جامع برقوق في المدافن فقال انه آية في الفخامة والجمال ولكنه فضل عليه جامع قائدبك (انظر الرسم) الذي هو جوهرة مصوغة من جواهر وكل حجر منه مصنوع ومنمق باسلوب يسحر

لب ارباب الصناعة . ولكنه اسف جدًّا لان تلك الآثار العربية الفخيمة لا تُصان كما يجب بل ان الحمارة والجمالة والسياح والمارة وفوق ذلك يد الزمان — كلهم يعبثون بها عبثًا سيفضي الى اتلافها اذا لم تتلافها الحكومة . واذا تلفت تلك الآثار العظيمة نخسارة علم الآثار في العالم تكون كبيرة جدًّا .

ولا شيء يشبه مدافن السلاطين او مدافن الخلفاء كما يسمونها الا آثار القصر (الالكازار) في الاندلس وآثار الحمراء (الهلمبرا) فيها ايضًا . ولكتّاب الافرنج في هذه الآثار وصف يستلب الالباب . وكلها بنيت على اصول الفن الافريقي لان فنون البناء كانت عربية وافريقية وفارسية وتُزاد عليها الافغانية والتركية حديثًا . غير انه لا بدّ ان يكون قد داخل النظام الافريقي شيء من النظام العربي والفارسي لان كثيرين من بنائي العرب والفرس في بغداد هجروا هذه العاصمة بعد استيلاء هلاكو سلطان التتر عليها مع العباسيين الذين قدموا الى مصر لاجئين اليها وعملوا في صنائعهم فيها . وقد نشرنا في هذا الفصل رسم جامع عمرو في العاصمة الذي نُسجت باقي الجوامع في افريقيا واسبانيا على منواله وجامع قائد بك الذي هو اَخر الجوامع العربية اليوم وجامع الازهر الذي هو اعظم مدرسة عربية اسلامية في هذا العصر . ومنها يرى القارىء نخامة تلك الآثار وبراعة العرب في الفنون الجميلة

﴿ المحرمات عند قدماء المصريين ﴾

وديتونة موتاهم

(الكلام الذي كان يلقيه الميت في اثناء الدينونة)

تُعرف الاشياء التي كانت محرّمة عند قدماء المصريين من فقرة وردت في كتب الاموات الخاص بهم . فانّ الانسان بعد وفاته يطير الى المكان الرفيع الجالس فيه الاله اوزريس وحوله اعوانه الاربعون فيمر في طريقه في جو هائل مملوء بالارواح التي تحرس الكواكب . وحين وصوله الى مكان اوزيريس تبدأ دينونته فياخذ الاله هور والاله انوبيس قلب ذلك الانسان ويزنانه ليعلما أخفيف هو ام ثقيل وفي اثناء ذلك يتلو الانسان الواقف في الدينونة الكلام التالي لتبرءة نفسه

« لم اسرق الناس قط . لم اعذب الارملة . لم اكذب في المحكمة . لم اكن ذا قصد سيء . لم ارتكب محرمًا . لم اجبر العملة على ان يعملوا اكثر مما كان يجب عليهم ان يعملوا .

لم اكن مهملاً ولا بطالاً ولا ضعيفاً خائراً . لم اصنع ما يُسخط الآلهة . لم اعلم العبد ان يفرّ من سيده . لم اجوّع احداً . لم أُبكِ احداً . لم اقتل ولم آمر احداً بالقتل . لم اختلس قربان الهياكل ولا حلويات التقدمة التي تقرب للآلهة . لم انزع عن الموتى لفائفهم ولا غصبتهم مؤنهم . لم اربح ربحاً حراماً . لم اغش كيل الحبوب . لم اخدع احداً ببيعه حلياً مغشوشه . لم اسرق شيئاً من الحقول . لم اتلاعب بالميزان . لم انزع اللبن من افواه الاطفال . لم اقنص البقر المقدسة في المروج . لم انصب الحبائل للعصافير المقدسة . لم اصد الاسماك المقدسة في بركها . لم ارفض الماء حين نزوله في حينه . لم اقطع مسيل ماء في جريانه . لم اطفئ النار المقدسة في اوقاتها . لم اهن احداً من الآلهة في ابان احتفالاته . انا نقي . انا نقي . انا نقي »

فاذا وجد قلبه خفيفاً وكان نقياً كما يقول اذن له بالدخول الى اماكن الساعة السابعة حيث فردوس يالوفيقيم هناك على الفلاحة والزراعة رمزياً ويكون له عبيد يخدمونه فكانت المعيشة في تلك الحياة مشبهة للمعيشة في هذه . واذا كان غير نقي طُرد بقساوة فتنتابه المصائب حتى ياتي وقت خراب العالم والفناء النهائي .

فمن ذلك يتضح ان المصريين ما كانوا يعتقدون بخلود النفس ولكنهم كانوا يعتقدون بحياة ثانية وشتان بين الامرين . وقد انكر عليهم الذين جاؤوا بعدهم تعدد الآلهة عندهم حتى انهم الهوا كثيراً من حيواناتهم كالقطط والكلاب ويروى ان كل قبيلة بل كل عيلة كان لها اله خاص بها . ولكن مما يمحو ذلك انهم كانوا اسبق الناس الى التوحيد اي الاعتراف باله واحد . يشهد بذلك ماوجد مكتوباً في آثار ثيبة الباقية من العصر الثيبي فان الاله عمون لُقب فيها " الاحد الواحد وسيد الابدية " ولكن هذه التعاليم كانت محصورة بين الكهنة اما الشعب فانه كان يجهلها لانشغافه بتعدد الآلهة

﴿ الاباء اليسوعيين في تونس ﴾ عزم الاباء اليسوعيين بعد ما عقدوا النية عليه من الخروج من فرنسا على انشاء مدرسة زراعية كبرى في تونس وقد قدروا نفقاتها بمليون فرنك

صفحة تاريخية مجهولة

﴿ بسمارك وتزويره تلغراف ايمس ﴾

« ونظرًا لاهمية هذه الحادثة التاريخية استميح القراء عذرًا في تلخيصها فكاهة وافادة

« قال بسمارك بعد ان ذكر كدره من تساهل ملكه نحو سفير فرنسا « عزمتُ على الاستقالة من منصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٣ تموز) وبينما نحن على الطعام اذ جاءني ساعٍ واخطرني بوصول رسالة برقية بالارقام ممضاة من مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بحلها سريعًا . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع ضيفيَّ علت على وجهيهما ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد في قحته وانقطعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستعدت قراءة تلك الرسالة مرارًا وكان الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فأخذت للحال قلماً وحذفت منها جملاً وابقيت اخرى فانقلب تأثيرها انقلابًا تامًا ثم التفتُّ الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة تتعلق بثقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل استعدادنا . فاجابني للحال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل مماطلة تجرّ علينا اخطارًا . فقرأت حينئذ عليهما الرسالة منقحة فابرقت اسرتهما وقالا (قد تغيرت نغمتها الآن) فقلت (ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تاثيرها على الثور الفرنسوي كتاثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيرًا بوقع اشهار الحرب علينا اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن لاوروبا باننا لسنا الا مدافعين ...) فسرّ مولتك بذلك سرورًا عظيماً ثم ارسل نظره الى السماء باسماً وصاح (اذا قدر لي البقاء لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هذه العظام) وقرع صدره بكلتا يديه » .

فيظهر جليـًا ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل فرنسا على اشهارها . ولو لمْ يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب في ذلك الى فرنسا »

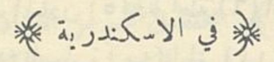
(من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول)

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

مدرسة محمد علي الصناعية



﴿ في الاسكندرية ﴾

اذا لم تنشر المجلات والجرائد اخبار المشروعات الكبيرة النافعة التي تقوم في البلاد لم تقم بكل ما عليها من الواجبات ولذلك نخصص هذا الباب في هذا الفصل للكلام على المدرسة الصناعية التي عزمت « جمعية عروة الوثقى » في الثغر على انشائها تذكاراً لمرور مائة عام على دخول المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة الى مصر · ولقد رأس لجنة الاكتتاب لهذا المشروع المفيد بناء على امر الجناب الخديوي العالي حضرة الوزير الخطير دولتلو رياض باشا فارسل الى مائة وتسعين رجلاً من افاضل القطر والثغر رسائل يدعوهم فيها دولته الى الاجتماع في منزله للشروع في الاكتتاب · وهذا ما جاء في تلك الرسالة من الاشارة الى المغفور له محمد علي « ما اجدر محمد علي العظيم بتذكار يقيمه له المصريون تخليداً لذكره · فانه اسس حكومة منتظمة بعد الفوضى ووطد الامن في انحاء البلاد واعز مصر بمنعة الحصون والقلاع وقوة الجيش والاساطيل وسعى في اعلاء مكانتها بنور المعارف والعلوم وانماء ثروتها بتحسين الزراعة وحماية التجاره واحياء الصناعة فكان ذلك اول عهدنا بالمدنية والعمران واصبحت مصر بفضله من ثغورها الى ابواب سنار دار امن ونعيم ورخاء »

ولقد اجاب دعوة دولته نحو مائة رجل من الكرام فتلي عليهم (بروغرام) المدرسة المنوي انشاؤها ويؤخذ منه انها ستنشأ في بناء الترسانة الذي كان سجناً في الثغر · وسيكون عدد تلامذتها ٣٠٠ تلميذ فاكثر سن الواحد من ١٢ الى ١٨ سنة ومدة الدرس ثلاث سنوات ونفقات المدرسة السنوية ١٥٠٠ جنيه تؤخذ من تبرعات المتبرعين وثمن المصنوعات التي تصنعها ورش المدرسة ·

اما نفقات التاسيس فهي كما يلي

خمسة آلاف جنيه لاصلاح المكان الذي كان سجناً في راس التين لجعله مكاناً للمدرسة اي هدم الغرف الحالية وبناء خمسة عشر ورشة بسقائف واربع قاعات للدروس والرسم ومخزن كل ذلك على مساحة من الارض قدرها ٢٥٠٠ متر مربع بسعر ٢ جنيه في المتر وثلاثة الاف جنيه ثمن آلة بخارية وجميع العدد اللازمة لاداره الورش وتركيبها وخمسمائة جنيه لشراء مواد اولية لادارة الاعمال ويضاف الى هذا المبلغ قيمة رواتب العمال الواجب استخدامهم في الورش والدروس عن السنة الاولى ونفقات الصيانة والادارة وقدرها كلها الف وخمسمائة جنيه فالجملة عشرة الاف جنيه

وستنشأ في المدرسة خمس عشرة ورشة او معمل . (١) الحدادة الكبرى (٢) الحدادة الصغرى (٣) البراده (٤) سبك المعادن (٥) الخراطة (٦) النجارة الكبرى (٧) النجارة الصغرى (٨) نجارة العربات (٩) النحاسة (١٠) الحفر (١١) السنكرية (١٢) نقش المباني (١٣) الكندرجية (١٤) الترزية (١٥) التجليد

فنحن نسأل الله ان يأخذ بيد دولة الوزير رياض باشا وجمعية عروة الوثقى لاتمام هذا المشروع المفيد . ونتمنى ان يقتدي السوريون باخوانهم المصريين فيقدموا على ما اقدموا عليه وبالله التوفيق .

باب الاخبار العلمية

﴿ كيف تتزاوج النحل ﴾ صدر في فرنسا في هذه الاثناء كتاب موضوعه طبائع النحل لمؤلفه المسيو مترلينك . وقد جاء فيه وصف جميل لطريقة تزوج النحل وهذه خلاصته باختصار مجرد عن الغزل . ان ملكة النحل العذراء قبل خروجها اول مرة من النقير تمرن نفسها على الطيران حوله . ثم تندفع في الطيران صاعدة في الفضاء . فلما يراها ذكور النحل ويتنسمون ريح جمالها يطيرون اليها من كل جانب فتجدّ الملكة حينئذ في الصعود في الفضاء جاعلة نفسها جائزة للذي يسبق رفاقه اليها فكانها بذلك تمنح نفسها لاكثرهم قوة طبقاً لناموس الانتخاب الطبيعي . وكلما صعدت في الفضاء تناقص تحتها عدد الذين يطاردونها ويطلبونها . ولا تزال واياهم على هذه الحال حتى يدركها اقواهم في اعالي الجو فبعد اللقاح

يسقط الذكر ميتاً على الارض من ذلك العلو الشاهق لاتمامه النظام الطبيعي وتعود الملكة حاملاً الى قفيرها

﴿ علو الغيم وسرعته ﴾ قاسوا في كندا ارتفاع الغيم عن الارض في عام ١٨٩٧ وسرعته في الفضاء ونشروا نتيجة القياس في هذا العام فاتضح منها انه يبلغ في الشتاء متوسط علوه عن الارض ٩٩٧٨ متراً ومتوسط سرعته مسوقاً بالريح ٤٢ كيلومتراً في الساعة وفي الصيف يبلغ متوسط علوه ١٠٩٠٠ متر ومتوسط سرعته ٦٤ كيلو متراً في الساعة . وبلغ اعلى ارتفاعه ١١ الف متر واشد سرعته ١٦٠ الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة وذلك في شهر يونيو

﴿ حفظ اللحم من الفساد ﴾ يحفظون اللحم من الفساد في فرنسا بغطه باللبن وتركه فيه مدة اسبوع فيبقى سالماً من كل فساد ويؤكل بعد ذلك كأنه ابن ساعته . اما اللبن الذي يُنقع فيه فيغذون به الحيوانات التي يربونها كالخنازير وغيرها

﴿ عادة عماد خط الاستواء ﴾ كان البحارة في الزمن القديم يرهبون اجتياز خط الاستواء لانهم كانوا يظنون ان البحار التي تليه ماهولة بالابالسة والشياطين . وبعضهم كان يتوهم هذا الخط سوراً قائماً في البحر يمنع السفن من المرور فيه . ولكن لما اجتازه الاوربيون في القرن السادس عشر بطل خوفهم منه واستبدلوه بعادة لا تزال شائعة الى اليوم وهي ما يسمونه عادة العماد عند الوصول الى خط الاستواء . فان السفينة عند دنوها من « موقع » هذا الخط يجتمع بحارتها ويفتشون فيها فاذا وجدوا بينهم مسافراً او بحاراً لم يسبق له انه اجتاز خط الاستواء ياخذونه فيقصون شعره ويحتفلون بتعميده بالماء احتفالاً في غاية البهجة صرفاً لغضب نبتون اله البحر عنه . فيلاقي ذلك الدخيل المسكين عناء في ذلك الاحتفال والعماد . اما المسافرون فانهم يشترون انفسهم بالمال فيتركهم البحارة وشانهم . ولقد مرَّ المرشال والدرسي بخط الاستواء في عودته من الصين على الباخرة « جيره » فاكتفوا باعطائه لقب « اوجير » وقد احتفلوا بمروره دون تعميده

﴿ حفظ العنب اشهراً ﴾ اذا شئت حفظ العنب اشهراً عديدة فخذ عناقيده ونق منها الحبوب الفاسدة والتي دبَّ الفساد فيها ثم خذ كل حبة صحيحة على حدة دون فرطها من العنقود وغلف عنقها بقشور من شمع منعاً لعصير العنب فيها ان يتبخر منها ثم ضع العنقود

مقلوباً في زجاجة وافتقده في كل يومين او ثلاثة لتنزع منه الحبوب التي يدب فيها الفساد، فيبقى اكثره صحيحاً مدة طويلة

﴿ تبريد مياه الشرب في الصيف ﴾ ذكروا لتبريد مياه الشرب في الصيف طريقة غريبة . وهي ان تاخذ زجاجة مملوءة ماء وتضعها في صحفة عميقة مملوءة ماء ايضاً ثم استر الزجاجة بقطعة من النسيج المبلل ودع اطراف النسيج تسقط في الصحفة . وبعد ذلك ضع الصحفة وفيها الزجاجة في الشمس فيبرد الماء الذي في الزجاجة . وحبذا لو جرب احد القراء هذه الفكاهة

﴿ غرائب الصاعقة ﴾ تقدم لنا الكلام على غرائب الصاعقة وقد نزلت في الشهر الماضي صاعقة في منزل في بانيير دي بيجور فصارت تتعرج في فضاء الغرفة كطير يطلب منفذاً نخف صاحب المنزل وفتح لها نافذة فاندفعت وخرجت منها دون ان تقتل احداً ولكنها اطلقت بندقية كانت محشوة وقلبت اثاث المنزل راساً على عقب

﴿ التجارة بين انكلترا وفرنسا ﴾ بلغت صادرات البضائع من انكلترا الى فرنسا في الاشهر الستة الاولى من هذا العام ٣٤٠٢٥٥٠٠٠ فرنك مقابل ٣٥٠٩٢٩٠٠٠ في مثل هذه المدة من العام الماضي . وبلغت الصادرات من فرنسا الى انكلترا في تلك المدة ٦٦٨٠٩١٠٠٠ فرنك مقابل ٥٨٩٥٠٥٠٠٠ فرنك في مثل تلك المدة من العام الماضي فتكون تجارة انكلترا مع فرنسا في نقصان بينما تجارة فرنسا مع انكلترا في ازدياد . ويتخذ بعض الساسة هذه الارقام كفيلاً بضمانة السلم بين البلادين لان فرنسا اذا حاربت انكلترا خسرت معاملها اكثر من مليار فرنك في العام وفي ذلك خراب قسم كبير من صناعتها

﴿ اكابر الاغنياء في العالم ﴾ هم عشرة اولهم رجل انكليزي يُدعى المستر بت صاحب محل وارنوبت وشركائه في لندن فان ثروته بلغت ملياري فرنك ونصف وهو يملك نصف المعادن في افريقيا الجنوبية . وثانيهم لي هنغ شنغ السياسي الصيني المشهور فانه يملك ايضاً ملياري فرنك ونصفاً ولكنه لا يُظهر الغنى كثيراً خوفاً من سطو الحكومة الصينية . فاكبر اغنياء العالم اذاً انكليزي وصيني . ثم ياتي بعدهم المستر روبنسن الانكليزي وثروته تبلغ ملياري فرنك ثم المستر ركفلر الاميركي وثروته مليار ونصف ثم المستر استور الانكليزي ايضاً والبرنس ريميدوف الروسي وكل واحد منهما يملك مليار فرنك . ثم صاحبنا اندريا

كارنجي الذي يوزع الآن على المدارس والمكاتب ثروته التي كانت بالغة مليار فرنك ولم يبق له منها سوى ٨٠٠ مليون فرنك . ثم مورغان وفندر بليت وركفيلر (غير الذي تقدم ذكره) وهم يملكون نحواً من ثمانمائة مليون فرنك . ومما يروى ان جميع هؤلاء الاغنياء ضعاف المعدة قليلو القابلية للطعام

﴿ ما اكلته باريز في مدة المعرض ﴾ احصي ما استهلكته باريز في شهور المعرض فبلغ عشرين مليون كيلوغراماً من الزبدة والمقانق و٦١٤ مليون بيضة و٤٠ مليون كيلو من السمك و٢١٤ مليون كيلو من اللحم و٨ ملايين كيلو من الجبن . وقد اغرقت هذه المقادير الهائلة بخمسة ملايين هيكتوليتر من الخمر

باب التقريظ والانتقاد

﴿ حقوق الملل ومعاهدات الدول ﴾

تاليف جناب الامير (امين ارسلان) قنصل الدولة العلية الجنرال في بروكسل

عزم حضرة الكاتب المشهور الامير امين ارسلان قنصل الدولة العلية العثمانية الجنرال في بروكسل على سد فراغ في اللغة العربية . فانه اعلن عزمه على تاليف كتاب موضوعه « حقوق الملل ومعاهدات الدول » وقسمه الى اربعة اقسام « الاول في المبادىء الاساسية في انشاء الدول وما هية حقوقها وواجباتها والثاني في الاستيلاء والاستدراك والابحار والانهار والثالث في العلاقات السياسية بين الدول وواجبات الملوك والسفراء والوزراء والقناصل والرابع في الاختلافات وطرق صلحها والحرب براً وبحراً »

وقد بدأ بالقسم الاخير لمناسبة حرب الترانسفال فنشر بعضه في مجلة الهلال ثم جمعه على حدة فجاء كتاباً شاملاً كل ما تهم معرفته من شروط الحرب وشرعيتها وحقوق المتحاربين وواجباتهم وكلما يتعلق بالحرب وفروعها . وهو مطبوع في مطبعة الهلال و يطلب من مكتبها فنثني على حضرة مؤلفه الفاضل ونرجو ان يعود الى عالم الاقلام بعد انقطاعه عنه لانه من الكتاب الذين يشعر الجمهور بغيابهم وياسف له

﴿ رسائل اخوان الصفاء ﴾

بين الحيوان والانسان

نشرت مطبعة دار الترقي في العاصمة رسائل اخوان الصفاء وهي محاورات ومناظرات بين الحيوان والانسان منها شكاية الحيوان وجور الانسان وكيفية استخراج العامة اسرار الملوك وعجائب النحل وما خص بها من الكرامات وحسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم . وقد جاء في مُقدمتها انها « وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب طلي الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفي » فنثني على حضرة ناشرها ونتمنى ان يتحف اللغة العربية بغيرها من الآثار المفيدة . وهي تطلب من المطبعة المذكورة في العاصمة

﴿ مفتاح المحادثة ﴾

في اللغتين العربية والبرازيلية

وضع حضرة يوسف افندي لطفي كتاباً صغيراً في اصول اللغة العربية والبرازيلية تسهيلاً للمهاجرين الى البرازيل وقد جمع فيه الكلمات الغالب استعمالها هناك فاذا تعلمها المهاجرون سهل عليهم الاخذ والعطاء ولم يقعوا في المصاعب التي يقعون فيها احياناً لجهلهم لغة البلاد كل الجهل . وهي خدمة نافعة فنثني على حضرة واضع الكتاب وهو يُطلب من ادارة رصيفتنا جريدة الاحوال في بيروت وثمنه فرنكان

﴿ جريدة اتحاد العمال ﴾

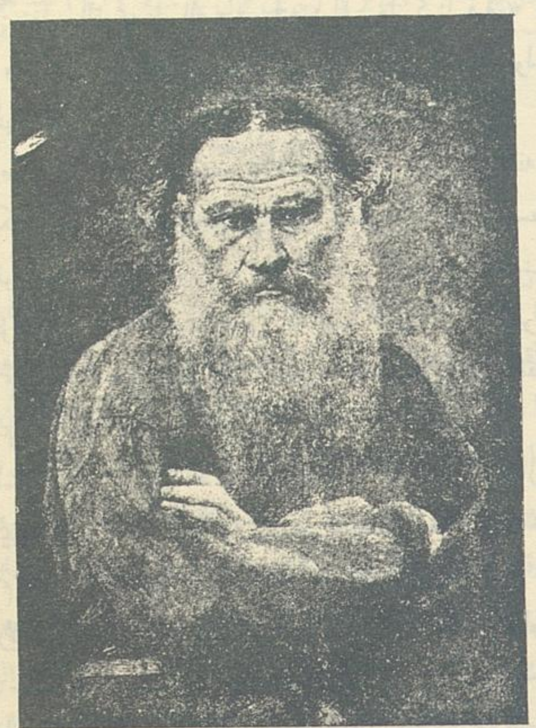
اعلنت ادارة جريدة الثريا الغراء عزمها على اصدار جريدة عنوانها اتحاد العمال في القطر المصري وغايتها « ان تفسح لهم مجالاً لنشر ما يلاقونه من ارباب المعامل من الظلم والاجحاف والاستبداد » فنحن نتمنى لادارة الثريا النجاح في هذا المشروع لان فيه خدمة نافعة للعمال لا سيما اذا ثبتت الجريدة في دفاعها عن حقوقهم . ولقد آن ان ترتفع في بلاد الشرق اصوات بالدفاع عن الطبقات الضعيفة

﴿ مبادىء جوغرافية ﴾ اصدر جناب رشدي افندي كامل من مستخدمي السكة الحديدية في العاصمة الجزء الثاني من كتابه تنوير الاذهان وهو شامل لمبادىء الجوغرافيا طبقاً لبروجرام نظارة المعارف وفيه رسوم الاشياء التي يتكلم عنها كالجبل والبركان والراس والمضيق وغيرها فنثني على اجتهاده ونشاطه

﴿ الحكيم الطيار ﴾ وهو رواية ادبية تمثيلية لمعربها جناب ايلي افندي عداه اهداها الى جناب مخائيل افندي منصور وتطلب من حضرة المعرب في العاصمة وثمنها ٥ غروش صاغ

الفيلسوف تولستوي

﴿ رسمه الجديد ﴾ نشرنا في احد الاعداد الماضية رسمًا للفيلسوف الكونت لاون تولستوي وبما ان ذلك الرسم ماخوذ عنه منذ عدة سنين فقد رأينا ان ننشر للقراء آخر رسم لهذا الفيلسوف وهو مرسوم فيه بملابس الفلاحين الروس التي لا يلبس اليوم سواها



﴿ الفيلسوف تولستوي ﴾

ولقد قرأنا في رصيفتنا جريدة المناظر الغراء التي تطبع في البرازيل فصولاً شائقة عن هذا الفيلسوف منها فصل نشرته في العدد ١٨٨ بعنوان « المسيحي الوحيد » تريد تولستوى فقالت ما نصه

« وفلسفة تولستوي في المسيحية ليست بنت هذه الشهور الاخيرة التي اذاعت فيها اسمه حوادث الطلبة الاخيرة في روسيه ولكنها اساس ما كتبه تولوستوي منذ قيل انه الكاتب المجيد لا منذ قيل انه الفيلسوف الممتاز . ولقد ادرك اكثر المطالعين في كل البلدان المرتقية تعاليم الرجل على حقيقتها وما راينا الى الآن كاتباً له شيء من حرية الفكر تعرض لها تعرضاً حاول ان ينفي به صحتها . وقد شعرت « مجلة الجامعة » بان من واجباتها كمجلة اجتماعية ان تنشر على قدر الامكان اشياء من فلسفة تولستوي فكانت هي وسيلة المطالعين العرب الوحيدة الى تفهم افكاره و بقيت المجلات والجرائد الاخرى متغافلة حتى انتبه الهلال ولكنه حاول شيئاً لم يحاوله احد قبله . فقد اورد الهلال مبادىء تولستوي ولما انتهى الى وجوب اطلاق الارض قال انه لا يدوم لانه مخالف للعدل العام واذا ابطلنا حق التملك فلا يمضي زمن حتى يتغلب القوي على الضعيف فنعود الى ما كنا فيه » هكذا يقول الهلال و يسوءنا انه وهو مجلة معتبرة في الصحافة العربية لم يفهم فلسفة تولستوي من جهة وغالط نفسه من الجهة الاخرى » الخ

فنحن نقول الرصيفة ان الهلال لم يقصد بما قاله الرد على تولستوي لانه اعلم الناس بان ذلك عبث ولغو ولكنه قصد مقاومة الجامعة انتصاراً لبعض الكتاب والبسطاء الذين لم ترقهم اقوالها عن تولستوي اول ظهورها . وهذا موقف لا نرضاه لصاحبنا لا سيما وانه لخص فلسفة تولستوي عن الجامعة حرفاً ومعنى كما نبهنا كثيرون من القراء فكيف يستحل ان يشرب من بئر ثم يرشقه بحجر . ومع ذلك فنحن نسامحه لا على هذه فقط فانها الصغيرة ولكننا نسامحه على غيرها ايضاً

ولقد شفي تولستوي من المرض الذي انتابه حديثاً كل الشفاء وقال لبعض زائريه انه كان يرجو ان يموت لان الموت راحة وان المرض قد جعله يشعر بوجود حياة ثانية احسن من هذه الحياة . ثم قال ان الذين لا يمرضون في حياتهم يكونون شرسي الاخلاق جفاة الطباع والمراة التي لا تمرض بل تكون دائماً في صحة تامة انما هي وحش ضار . وكانت امراته الكونتسة تولستوي سامعة فابتسمت وحولت وجهها

وقد فرغ تولستوي من كتابة كتاب جديد عنوانه « الطريقة الوحيدة » ذكر فيه الطريق التي يجب ان يمر فيه التمدن المسيحي والا سقط كما سقط تمدن الامم المتقدمة . و يقال انه ابلغ كتبه وسنلخص هذا الكتاب للقراء حال صدوره و ربما صدر في اول الشتاء القادم
